د. جابر قميحة

لله والحق وفلسطين

ديوان شعر

توزيع

الدار المصرية اللبنانية ١٦ عبد الخالق ثروت - تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - ص . ب : ٢٠٢٢ - برقيا : دار شادو - القاهرة.

DML

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الإهـــــداء ..

إلى أمير المجاهدين الصابرين ..

الرجل المريض القعيد الذى اذل الاعداء ، وقهر مرضى القلوب والعقول والضمائر وهم الاصحاء الاقوياء .

إلى الأنشودة التى يترنم بها الاطهار الاحرار - رجالا ونساء وأطفالا - فى لهيب النضال .

إلى ابن الإسلام أحمد ياسين نزيل سجون الصهاينة أعداء الله والحق والإنسان .

إليه ... وإلى أبنائه ومريديه ....

أهدي هذه النبضات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وأصلي وأسلم على الصادق المصدوق محمد بن عبد الله وآله أجمعين . أما بعد :

فمن نصف قرن ظهرت بداياتي « النظمية » .. كنت أنظم الشعر على استحياء لا يخلو من حماسة واعتزاز ، وكنت أحتفظ لنفسي بما أنظم ، وإن أسمعته بعض أصدقائي ، ونحن طلاب في المرحلة الثانوية ، وتجمع عندي ماصنع ديوانا مخطوطا كاملا أسميته « اذكريني عند قبري » . وقد غلبت على « منظومات » هذا الديوان رومانسية حزينة ، وكان أهم ماضم : القصيدة التى عنون بها الديـوان « اذكريني عند قبري » ، وقصيدة أخرى طويلة بعنوان « أمام قبر أخي » ، وهي في رثاء شقيقي الأكبر الوحيد الذي توفي سنة ١٩٤٣ .

وما زال هذا الديوان مخطـوطا أعود إليه بين الحين والحين ، أتنسم فيه ريح الشباب وروحه ، مسترجعا قطعا ومواقف من حياتي انعكست في هذه « المنظومات » . ولكني

– على أية حال – لا أجد من نفسي الجرأة لطبع هذا الديوان ، لأن مستواه الفني لا يشجع ، وإن جاء غنيا – إلى حد كبير – بالقيم الفكرية والشعورية .

* * *

وفى مرحلة الدراسة الجامعية (١٩٥٣ – ١٩٥٧) كنت مقلا فى نظم الشعر ، فقد يمر العام فلا أنظم إلا القصيدتين أو الثلاث . ربعدها شدتني بحوثي الجامعية والأدبية والإسلامية بعيدا عن خمائل الشعر .

ثم كانت بدايتي « الديوانية » بظهور ديواني « لجهاد الأفعان أغني » ، وهو الديوان الذي ضم قصائدي التى نظمتُ أغلبها وأنا فى باكستان ابتداء من سنة ١٩٨٤ ، إلى نهاية العقد ، وكان محورها الأساسي جهاد الشعب الأفغاني وتضحياته وشهداءه ، وقد رأيت كل أولئك عن كثب في عهد « ضياء الحق » – رحمه الله ، وكان يعد النصير الأول لجهاد الشعب الأفغاني في مساره الطاهر الشريف .

* * *

وفي سنة (١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م) – بعد صدور الديوان السابق بأشهر – صدر لي ديوان « الزحف المدنس » الذى ضم شعري فى نكبة الكويت أيام أن غزاها صدام ظلما وعدوانا .

* * *

ويصدر ديواني هذا « لله والحق وفلسطين » ليكون ترتيبه الرابع – أو الثالث – فى منظومة دواويني ، فهو يزامن صدور ديوان لى بعنوان « حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري » تصدره رابطة الأدب الإسلامى العالمية عن « مؤسسة الرسالة » ببيروت . وعنون الديوان بعنوان أهم قصائده . ومن أهم قصائده كذلك : هديتي إلى شباب الإسلام – عزة المسلم – الضاربون فى الظلام – سرايبفوا الدماء والأعراض – الإسراء والأطفال والحجارة ....

وقصائد الديوان المذكور تدور كلها فى فلك ديواني الأخير « لله والحق وفلسطين » ، فهما توأمان فكرا وتصويرا وتعبيرا ، ولو ضما بين دفتي ديوان واحد لأدرك القارىء مصداقية هذا الحكم .

* * *

وقصائد الديوانين – فى أغلبها – تعكس هموم الوطن والأمة العربية والإسلامية ارتباطا بمناسبات سياسية أو اجتماعية أو عالمية ، أو شخصيات ظهرت أو اختفت وكان لها دورها الكبير – سلبا أو إيجابا ... نفعا أو إضرارا ... بناء وتعميرا أوتخريبا وتدميرا – على الساحة المحلية أو العربية أو الإسلامية أو العالمية .

وقد يتسرع بعضهم ويزري بهذا اللون من الشعر بدعوى أنه « شعر مناسبات » ، مرددا المقولة المشهورة « إن شعر المناسبات من الألوان الأدبية التي لا تأخذ مكانها إلا في المركبة الأخيرة من قافلة الشعر » .

وأقول : إنها غلطة قاتلة تصاغ في « معلومة » تحشر في أذهان المتأدبين ، وللأسف تلقن لأبنائنا فى المرحلة الثانوية ، وأكرر : إنها غلطة شاعت بلا مبرر ، وبلا تدبر ، لأن الناقد الحصيف لا ينظر إلى القصيدة من خارجها ، ولكنه ذلك الذي يعايش القصيدة موقفا وموضوعا وفكرا وتصويرا وتعبيرا ومشاعر وأحاسيس ، يستوي فى ذلك أن تدور القصيدة حول نكبة يونيو ١٩٧٦ ، وانتصار أكتوبر ١٩٧٣ ، وانتفاضة الحجارة ، وتصوير آلام النفس في تجربة خاصة .

ومن ثم ليس بالنقد البصير أن نزري بالقصيدة لأنها تدور حول مناسبات ووقائع « خارجية » . وليس بالنقد البصير كذلك أن نجل القصيدة ،ونعظمها لأنها قصيدة « ذات وعاطفة خاصة » . ولكن النقد البصير هو ذلك الذى يبحث عما فى هذه أو تلك من ثراء الفكر وبراعة التصوير والتعبير وحيوية الشعور .

ثم هل في الشعر – على مدار التاريخ الأدبي كله – قصيدة بلا « مناسبة » ؟ الواقع يقول : لا ، فكل قصيدة – واسأل تاريخ الشعر – تدور حول مناسبة ما ، أو موقف ما ، أو واقعة ما . وهذه المناسبة أو الواقعة قد يكون محورها « ذات » الفرد ، وقد يكون موضوعها « خارج » هذه الذات : تاريخيا ، أو سياسيا ، أو اجتماعيا . المهم أن نرى الشاعر « فى القصيدة » أيا كانت مناسبتها أو موضوعها . وهذا هو معيار التقييم السديد الصحيح [١] .

* * *

وأقدم للقارىء هذا الديوان « لله والحق وفلسطين » فى وقت كشر فيه الباطل عن أنيابه وصرح فيه الشر عن أهدافه ونواياه ، وعلى الأمة الإسلامية والعربية وفلسطين تكالبت قوى الصهيونية والصليبية والإلحادية للتخريب والتدمير وانتهاب الأرض والمال ، والقضاء على ديننا وقيمنا وما تبقى لنا فى قائمة فضائلنا .

نعم أقدم هذا الديوان فى ليل مدلهم بالمحن والكروب آملا أن تضيء كلماته جوانب من أقطار النفس ،

(١) انظر مقدمة ديوان « الزحف المدنس » ٧ – ٨ .

استشرافا للفجر ، وتطلعا للخلاص والنصر ، وإن غدا الناظره قريب .

د . جابر قميحة

١٢ من ربيع الأول ١٤١٨

عنوان المراسلة :

المملكة العربية السعودية

الظهران ٣١٢٦١ - ص . ب ١٦٤٠

جامعة الملك فهو للبترول والمعادن

أو

ج . مصر . ع

الأورمان : رمز بريدى ١٢٦١٢

ص . ب ٢٤١

عـــوْدَةُ مُصْـــعب بن عُمَيْر

كان مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف من بيت غنى ومال ، وقد هرع إلى الإسلام شابا ، وتخلى عن كل هذا النعيم والمال والجاه وكان أول داعية لرسول الله عليه السلام - في المدينة قبل الهجرة - وحمل لواءه في أحد ، وفيها استشهد . وفى مارس سنة ١٩٨٨ كنت فى إسلام آباد ، وعلمنا باستشهاد شاب من أثرياء السعوديين آثر أن يترك متاع الدنيا مجاهدا في صفوف المجاهدين داخل أفغانستان . فكانت هذه القصيدة .

(١)

وَيْحَ نفسى .. !!
ماتَ ميلادي القديمْ
إنني فى حاجةٍ حَرَّى ..
لميلاد جديد
نابعٍ كالفجرِ من صُلْبِ الحقيقة
بنسيج ثائر النبْضِ
لهيبِ العُنْفوانْ
ودماء من مَضَاء
وضمير من ضياء
وجبين من إباء

(٢)

يا دنيا غُرِّي غيْري
هل أنتِ إليَّ تعرضَّتِ
أم أنت إليَّ نشوقْتِ ؟
هيهاتَ – أسلِّمُ – يا دنيا
يا دنيا ما أعظمَ خطرَكْ !!
يا دنيا ما أقصرَ عُمْرَكْ !!
ما أهونَ زادَكِ يا دنيا !!
والدربُ طويلٌ وشريدْ
والسَّفرُ شقيٌّ وبعيدْ
والزادُ الحقُّ هو التقْوى
لا ما تهْوينَ
وما أهْوى . .

(٣)

ما الذي قد غيَّرَكْ
فأخرجَكْ ؟
تتركُ المالَ
وظلَّ الروْضِ
والزوجةَ
والسهلَ الذهبْ ؟!!

تهجرُ السيارةَ المرْسيدسَ الفخمةَ
والعطْرَ ..
وأملاكاً عجبْ ؟!!
والشفاه اللُّمْىَ
والخدَّ الأسيلْ
والأغاني ..
والأماني
وانتشاءات الأصيلْ ؟!
ما الذى
– يا أيها الإنسانُ .. قل لي –
غيَّرَكْ ؟!

*   *   *

دفترُ الشيكات
في الدُّرْج الشمالِّي من المكتبِ
ما عادَ لهُ في قلبهِ
أيُّ حسابْ
والرصيدُ الضخمُ في البنْكِ
هوى في ناظريه ...
لم يعدْ يعدلُ حتى شِسْعَ نعْلهْ
غيرُ صوتِ الحقِّ في أعماقهِ

اضحى خرابْ

امُّ كلثوم

وفيروز

وسلمى

وعتابْ

كلُّ هذا طعمُهُ ملْحٌ

وتَنْعابُ غرابْ

وضياعٌ واغترابْ

وكئوسٌ من سَرَابْ

(٤)

من ذا الذي قدْ غيَّرَكْ

وأخرجَكْ

وحولكْ

من بلبل عاشَ الوداعةَ

والسكينةَ

والرفاهةَ

والنَّعمْ

لكاسرٍ

ضاري العزيمة
همُّهُ خوضُ المعاركِ
والفيالق
والخنادقِ
والضَّرَمْ ؟
سبحانَ منْ سوَّاكَ
ثم عدَّلكْ
في صورة شمَّاءَ
شاء ركَّبكْ
يأيّها الإنسانُ
– في ساحاتها –
ما أعجبَكْ !!

(٥)

قد كان ثم صارْ
من جدة
لغزْنَة
لقنْدَهارْ
حيثُ الجليدُ

والحديدُ

والزحوفُ

واللظى الموارْ

حيثُ الجبالُ السودُ

والقفارْ

حيثُ الهزيمُ والدمارْ

وغربةٌ . . .

بعيدةُ المدى عن الديارْ

لكنه في زحفِهِ . . وعصْفِهِ

– رأيتُهُ –

كمارج من نارْ

سلاحُهُ الرشاشُ

واليقينُ

والنهارْ

رأيتُهُ

فى زحفِهِ وعَصْفِهِ

للّيلِ والمدَى وللصخورِ . .

منْ زحوفِهِ انبهارْ

(٦)

يا مصعبُ الجديدْ
يا عزمةً حديدْ
طوبَى ..
فقد هويْتَ
فى مضمارِها شهيدْ
طوبى
لكَ الخلودُ
في مقامكَ السعيدْ
يا مصعبُ المجيدْ .

* * *

إسلام آباد - باكستان

مارس ١٩٨٨

بُكائيَّـــــة بَيْنَ يَــــدَىْ بَشَّارِ بنِ بُرْدْ (*)

يا لأَفقي الجريح فَاضَ ظلامًا
كالحَ الوجه حالكَ الديْجورِ
ملَّ وجْهَه الكتيْبَ سُهْيلٌ
والثريا ، وكلُّ نجمٍ زهيرِ
وضِفافِي الخضراءُ ماجتْ بشوكٍ
قاتلِ الوخزِ عابسٍ قمْطريرِ
وطريقي عليه سودُ الأفاعي
بينَ أنيابها اغتيالُ المصيرِ
كلما شبَّتِ العزائمُ منِّي
أخرسَتْهَا رُؤَى الفحيح الهصور
فتهاوَتْ خُطايَ صرْعى . فأَنَّى
فى ضفاف الأنياب يمضي مسيري؟
كيفَ أمضي وبزيفُ دينٌ وطبعٌ
والنفاقُ الخسيسُ جِسْرُ العبور ؟
واختلالُ المعيارِ أضحى صوَابا
والصوابُ المنيرُ شرَّ الشرور ؟

* * *

(*) نشرت بصحيفة (الشعب) – القاهرة فى ٢ من إبرايل ١٩٩٣ .

إيه « بشّارُ » جُدْ بيانا وشِعْرا

مِنْ ضياءٍ وحكمةٍ وعطورِ

لا تقلْ « كيف يمنحُ النورَ أعمى؟ »

ليسَ أعمى من كان حيَّ الشعور

إنّما العُمْيُ من طواهمْ ظلام

في القلوبِ التى استَوَتْ فى الصدور

فانظر العالَمَ المسيخَ بقلبٍ

نابضٍ بالسَّنا الشفيفِ البصيرِ

لنْ ترى بُلبلا على السَّرح يشدُو

بلْ خفافيشَ فى رياشِ الصقورِ

والبغاثُ المضعوفُ عاث فسادا

بمغانيها فى غيابِ النسور

ونعيقُ الغربان يسري لُحونا

فى جنازاتِ فنِّنا المنْحور

والسُّكارَى تُميلهمْ نشوةٌ حرَّى

للــــحْنٍ ممزَّقٍ منْــــخُور

وارْتَدَتْ لبْدةَ الأسوَد كلابٌ

وجلودَ النمورِ سربُ الحميرِ

وذُرا الراسياتِ أمْستْ مطايا

لحصَى الأرض والغُثاء الحقيرِ

والفقاقيعُ قد علَتْ قمةَ السَّيْلِ

وصارتْ أميرةً للبحورِ

والخريرُ المصدوُر فى الجدوَلِ الذا
بلِ يُزْري على هزيمِ الهدير
وقيادُ الجيوشِ في حوْمةِ الحرْ
بِ لنذْلٍ وأعوَرٍ وضَرير
وأميرُ الجُهالِ «باقلُ» يُدْلي
ببيانٍ من قصرهِ المستنيرِ
«ابتداء من نشرة اليوم حتى
يبعثَ اللهُ أرضَنَا للنشورِ
ليسَ سحبانُ للبيانِ أميرًا
وأنا للبيانِ خيرُ أمير »

* * *

ويحَ قلبي يا ابن برد ودرْبي
رهنُ حزنٍ مُعربدٍ مسْعورِ
فأخوك «الخليلُ» يبكى بدمعٍ
من دمٍ دافقٍ سخينٍ غزيرِ
منْ هُراءٍ يُدْعى « قصيدةَ نثْرٍ »
ليسَ بالنظمِ شكلُهُ والنثيرِ
هو«خُنْثَى الكلامِ»في شكله المَا
ئعِ : لا فى الإناثِ أو في الذكور

* * *

يا «ابن بردٍ» هل يعلمنَّ سبَاوَيْـ
ـهُ بمأساة «نحونا» المنكورِ ؟
فالمفاعيلُ توَّجوها «برفْعٍ»
بينما الفاعلُونَ في « المجرورِ »
والمواضي مضارعٌ ، وحروف الـ
جرِّ .. نَصْبٌ وهانَ أمرُ الضَّمير
وصلاتُ الموصولِ أفقدها الوصْـ
ـلَ جَهُولٌ مُتَوَّجٌ بالغرورِ
وانتصابُ الأخبار أمرٌ بسيطٌ
سائغٌ هينٌ على التفسير
فإذا قلتُ «أوْقفوا الجهلَ حتى
نُدركَ الداءَ فهو جِدٌّ خطيرِ »
هَتَفَ الأدعياء « مَنْ ذَاحباكُمْ
إمرةَ النحوِ أو إقامَ الكسورِ ؟
إنما الغايةُ اتِّضاحُ المعاني
بسلوكِ التسهيل لا التعْسِير
فلْتعيشُوا عبيدَ نحوِكمُ البا
لي ، ودُمْنا للفكرِ والتنْوير »
فإذا قلتُ « إنما النحْو قانُو
نٌ لضبط المنظومِ والمنثور »
أجْمَعُوا أمرهمْ بليل وصاحُوا
« لستَ فيها بمنكرٍ ونكيرِ »

سقطتْ أمةٌ تراختْ فصارتْ
لغةُ الدين نهبَ كلُّ عقورِ
والغِ عرضَها الشريفَ بدعْوَى
« طبِّه » الناجعِ الجديدِ القديرِ
فإذا طِبُّه خداعٌ وزُورٌ
يجعلُ السهْلَ ألفَ ألفِ عسيرِ
هكذا يُسْتَباح كلُّ أَصيلِ
ريَفُضُّ البيانَ كلُّ صغيرِ
ويصيرُ التراثُ عِهْنا نفيشًا
تائه الخطوِ مالَهُ من نصيرِ
وإذا أنكر الجذورَ نباتٌ
ماتَ فى لفحة الهجير المريرِ

* * *

إيه « بشار يا ابن برد» عَذيري
حينَ أبكي في يومنا المقهور
وأناديكَ من وراء خطوبٍ
غشيتْنا بعاصف زمْهرير
مُقْلقًا روحَكَ المقيمَ بغيبٍ
قد علا سرُّهُ على التفكير
أن عصَرنا اليوم عصرٌ مُواءٍ
أدبيٌ وعشتَ عصر الزئير

يوم كانَ القـصيدِ ذا صـــــولجانٍ

ورجـــــالٍ ومنـــــــبرٍ وسريرِ

يوم كان القصيدُ أقوى من السَّيـ

ـفِ ..منَ المالِ والردى والنَّفير

فانْفضِ الموت وانهضنَّ سريعا

ولْتُحطمْ أسوار هذي القبورِ

كيْ تُريهمْ خمائلَ الشعر فَوًّا

حًا عبيُرهُ من عمــــيق الشعور

فإذا ما شــــدت عرائسُكَ الأبـ

ـكارُ فجرًا سَبَتْ قلوبَ الطيور

ثم ذابتْ من نشوة اللحنِ نورًا

عبقريًا مع الصبـــــــاح المنير

في ربيع مزاجُهُ من رحـــــيقٍ

دافقِ السحرِ مَالهُ من نظـــــيرِ

وإذا ما فجَّرْتَها الغضْبَةَ الشعْـ

ـوَاءَ باحَتْ بجمــــرها المستطير

فهوى مُصْعَقــــا دعيٌّ المعالِي

بينما اشتدَّ قلبُ كلٍّ كســـيرِ

* * *

قلْ لهم يا ابن بردٌ « أَفيقُوا
وأصِّيخُوا لذا النذيرِ الأخير »
وأعدْ هيبة الفحول كحسًّا
نٍ وكعبٍ وعنترٍ وجريرِ
وابعثِ الصيحةَ التى هى بَعْثٌ
وانتصارٌ لشعرِنا المهدورِ
« يا خفافيشُ للخرائبِ عُودي
قد أتى الفجُر بالأصيلِ الجدير
وارجعي يا بُغاثُ للقاع حَسْرى
رجعة الخاسِر الذليل الحقير
فالنسورُ التي طواها غيابٌ
عائداتٌ لوكرِها المهجورِ
والظلامُ الذى علا كلَّ أفْقٍ
يتلاشى أمام سيل النور »

* * *

درس خاص فى الجغـــــرافيا

نظمت هذه القصيدة و « سامح » ابني فى الصف الرابع الابتدائي بإحدى مدارس إسلام آباد بباكستان وقد تعودت أن أساعده فى المنزل بشرح ما يستعصي عليه من دروس .

اسمعْ يا سامحُ يا ولدى
الأرضُ تدورُ .. وتدورُ
والمحورُ يا ولدى مائلْ
من أعلى للأسفلِ مائلْ
لولا ميلانُ المحور
لاختل الكونُ وأَمْر الكون

* * *

والأرضُ تدورُ .. وتدورُ
واليومُ الواحدُ يعني دورهْ
وكذلك حول الشمسِ
تدور الأرضْ
فى عامٍ تكملُ دورتَها
أيْ هذا يعنِي عاما واحد

* * *

دورانُ الأرضِ اليوميُّ
يعنيِ النورَ .. ويعنيِ الظلمةْ

أما االدورانُ السنوي
ففصولُ العام . . .
أربعةُ فصولٍ فى السنةِ
فربيعٌ يتلوهُ الصيفُ
وخريفٌ يتلوه شتاء

* * *

وعلى المسكينةِ – أعني الأرض –
ألا تتوقفَ فى لحظهْ
– تتعبُ أو تشقى غيُر مُهمْ --
وعليها آخرَ دورتها
أن تُفرغَ ما في جعبتِها
فى جيبِ « صُعَيْبٍ »
مسكينهْ !!
مطلوبٌ منها – إذْ تمضيِ –
أن تطرقَ كل الأبواب :
– اعطوني مما أعطاكم ربي
دولارا
قطعةَ جبنٍ
قطعةَ أرضٍ

طبقا من مشٍّ
فيلاً
شاليهاً
دكانًا
سهْما
سنَداً
شركةَ توظيفِ للأموالْ
أو مخزنَ بيع للأعضاءْ
أو بنك دماءٍ وضمائرْ
اعطونِي حتى كسرةَ خبزٍ
ملقاةً في قعرِ زبالهْ
اعطوني مما أُعْطيتمْ
فصعيبٌ
ينتظرُ حصيلةَ يومي
أو يؤذيني فى عافيتي

* * *

صوت : المحور يأيتها الأرضُ يميلُ
ويميلُ . . .

نخشى أن ينكسرَ المحورْ . .
فتكونَ مصائبُ وكوارثْ .

* * *

ـ لا . . .
المحورُ لن ينكسَرَ البتّهْ
ما دمتُ أصبُّ حصيلةَ يومي
في جيبِ « صعيب »

* * *

جيب « صعيب »
يسعُ الأقطارَا
والأنفارا
والدولارا
والدينارا
والكفْيارا
آه . . . !!
كدتُ أميدُ
أنسى دوراني
و « صعيبٌ » يتدفق غيظا
يصرخ في نبْرٍ ساعْر :

(دُوري ·· دوري
امضي ·· دوري ··
جيبي خاو ···
جوفي خاو ··
والشمسُ هنالك في الأفِق
تمضي لتغيب ··
والمحور يشكو من كسلِكْ) ·

* * *

– جيبُكَ ؟!
جوفُكْ ؟!
حدثني عن عقلك
فالعقل – كما قال المثلُ –
« زينةُ من يتحلّى بهْ »
– (آه ···
فسدتْ أخلاقُك با لُكَعُ
وخُدعتِ بقول الشاعرِ
ذاك التافه
من يتْبعهُ كلُّ غوي
ويجوبُ الوديانَ هياما
ويغازلك بشعرٍ ماجن

طمعا في شيء من إيرادك
من عرق جبينك يا لكعُ
أوَ مَا يكفيني
أني أرفعُ عنك الإصْرْ
وأخففَ عنك حصيلةَ يومِك :
دولاراتٍ
وعماراتٍ
وبلاجاتٍ ؟
أو ليس بعمل مُضْنٍ هذا ؟
... دوري يا جاحدةً
دوري ...
فالمحورُ يشكو من كسلِكْ

* * *

لن يُطفىءَ ثورتَكِ الحمقى
إلا أن أسْتأصِلَ
قُطبا من قطبيك
ولك الخيرةُ فى أيهما
فأنا أحترم الحرية)

* * *

لقطة مقتطعة :

(الأرض تعانِي
من فرط الأوجاع
لكنْ تمضي
وتدورُ بلا قطبٍ علْويٍّ
في شاشٍ دامٍ
.. دامٍ ..
تمضي وتدقُّ الأبواب)
– أعْطوني مما أعطاكمْ ربي
دُولارا ..
دينارا ..
قطعةَ جبنٍ
قطعةَ أرضٍ
طبقا من مشٍّ
فيلاً ...
شاليها
دكانا ..
سْهما
سَنَدا
شركة توظيفٍ للأموالْ

أو مخزنَ بيع للأعضاءْ
أو بنك دماءٍ وضمائرْ
أعطوني كسرة خُبزٍ
حتى لو كانتْ ..
ملقاةً فى قعرِ زبالهْ
فصعيبٌ ينتظر حصيلة يومي
أو يْبتُرُ مني القطبَ الثاني .

* * *

لقطة مقتطعة :
(وأفيق وأكمل شرحي)
– اسمعْ يا سامح
وانظر يا ولدي ..
هذا القطبُ الثلجي شمالا
وجنوبا قطبٌ ثلجيٌّ آخر
أما هذي
فالإسم الجغرافيُّ لها :
سلسلةُ جبال الأَنْدِيزِ
والهملايا مرتفعاتٌ
أعلاها قمة « إفْرِسْت »
واليابسة تمثّلُ سبعا

من قاراتِ الأرض
والماءُ محيطاتٌ وبحارُ
أوسعُ بكثيرٍ من يابسةِ الأرض . والأرضُ . . .
كرةٌ هائلةٌ تمضى وتدورُ
لكن المحورَ – يا ولدي – مائلْ . .
هيه . . .
يا سامح . .
أفهمتَ الدرس ؟

* * *

– يا أبتي
لم أفهم شيئاً
فلقد قلتَ جديدا
لم تشرحْهُ « المسُّ » لنا
أثناء الحصةِ فى الفصل . .
مثل : صعيبٍ
. . قطعة جبنٍ
أو دولار
أو دينار
أو شاليه . . .

* * *

– يا سامحُ –– فلتتنبهْ
سأعيدُ الشرحَ لآخِرِ مَرّهْ
الأرضُ تدورُ .. وتدورُ
في اليوم الواحد تستكمل دورَه
والمحورُ يا ولدي مائلْ
و « صعيبٌ » ...
لا ... آسف
ليس هناك « صعيب »
بل « سرطانٌ »
يفتح « فاهُ » لكيما يأكل

* * *

– بابا ..
« المس » في الفصل تقول :
« السرطان مدار »
كيف يكون مدارٌ يأكل ؟
يأكلُ من ؟
أو يأكلُ ماذا ؟

* * *

– يأكلُ « أنتَ »
ويأكلُ « نحنُ »
ويأكلُ « هُمْ »

وقطعةَ جبنٍ
قطعةَ أرضٍ
أو دولارا
أو دينارا
أو شاليها
أو ...

* * *

– بابا
أنا لم أفهمْ شيئا أبدا
مما قلت !!

* * *

– أُوه
عجبا يا سامح
كلماتي كالشمسِ وضوحًا
عجباً يا ولدي
ستظلُّ « غبيا » مثل أبيك
اطْوِ الكراسةَ يا سامح
يكفيني ما قلتُ اليوم
ولْنكْمِلْ باقي الدرسِ غدا .

إسلام آباد . باكستان

فبراير ١٩٨٧

بــدرٌ أصــابَهُ الخســوفُ الكلــيّ (*)

أنا قلتُ لكْ . . .

لم تستمع لي . . .

يا « بدرُ » . . يا ابن الليلِ . .

والظلمات والزمنِ الرديء

كم قلتُ لك :

« الملك لله القدير وليس لكْ »

فقلتَ « كلا أنت كذابٌ وحاقدْ »

كم قلتْ لك :

« البدرُ لا يبقى طوال الشهرِ فى كبِدِ

السماء .

« ولسوفَ ينكبهُ الخسوفُ أو المحاقْ »

فقلتَ « كلا أنت مرتدٌّ وجاحدْ »

وشتمتني . . ولعنتَ أمي .

ولَغْتَ في أعراض آبائي وأجدادي وعمي

(*) كان مسئولا أمنيا كبيراً جدا اشتهر ببراعته الفذة وقدرته الفائقة على البذاء والسب والولوغ بلسانه فى الأعراض إلى أن عزل . وقد نظمت هذه القصيدة ليلة عزله ونشرت فى العدد الأسبوعي من صحيفة الوفد الصادرة يوم الخميس ٢٨ من جمادى الآخرة ١٤١٠ - ٢٥ من يناير ١٩٩٠ .

ووصف كُلاً منهمو
بالكلبِ .. والخنزيرِ .. والديْوث
والقذرِ النجِسْ
وبصقْتَ في وجهي النحيلِ الشاحبِ
(ملحوظةُ : ماذقتُ لحما منذُ آخرِ عيدِ أضحى)

* * *

وقذفْتَني بحذائك اللمِّيع
والكرسي...
ثم بكوب ماءٍ فارغٍ مستوردِ
وطردتني .
ورجالُكَ الأبطالُ
بالصفعات واللكماتِ فى كرمٍ وفيرٍ
ودَّعوني ..
يتضاحكونَ ويصرخون :
يا ابن الكلابِ مع السلامة
(لامَلاَمَة) ..
وفتحتُ « مُعجَم أُسرتي »
متورمَ العينين .. دامي الجفْنِ
مشدوخَ الكرامةُ

* * *

يا بدرُ يا ابن الليل ...
والظلمات والزمن الرديء
أضناني السهرُ الدءوبُ
و « معجمي الأسْريُّ » ..
بحثًا عن أصالة أسرتي
يا « بدرُ » معذرةً فإني لم أجدْ
فيهم كلابا .. أو ذئابا
أو أرانب .. أو خنافس
أو خنازيراً تهيمُ مع القذارة والعَفَن

* * *

وتركتُ « معجمَ أسْرتي »
وهُرِعتُ نحوَ « الجاحظ »
وكتابه « الحيوان » .. أوْفى ما كُتبْ
وقراته فى ضوءِ بدر شاردٍ متسكعٍ
(ملحوظةٌ : الكهرباء بحيِّنا انقطعتْ
كعادتها لعُطْلٍ طارىء)
[illegible]
فما وجدتُ به الطلبْ
لا واحدا من أسرتي
أو واحداً من أسرةٍ مصريةٍ

بكتاب جاحظنا التليد
فرفضت يا بدر الليالي والظلام الأرْعَنِ
أن أهتدي بمسارك المأفونِ
فى ليل المآسي الحالكةّ
(ملحوظة : أستغفر الله العظيم .
كادت يَراعَتيَ المصون
تهوي إلى السبِّ الرخيص
لكنني أحكمتُ شدّ وثاقِها)

* * *

وعرفتُ بعد قراءتي .. وبفطرتي
أن ابن مصر لم يكنْ أبدا بكلبْ
أن ابن مصر لم يكن – يا بدر – خنزيرا
لعينا
وقرأتُ سيرتهم جميعاً
جدتي .. جدي .. وأخوالي ..
وأعمامي .. وأيضا عمتي ..
فلربما .. !!
ونظرتُ أول صفحةٍ
وقراتُ (بعد البسمَلةُ) :
« ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ وما كانتْ أمك بَغِيًّا . . . »

وقرأتُ عن جدي الكبير بأنه قد مات في حفْر

القناة

عطشان ماتْ

جوعانَ ماتْ

لكنه (يَحْكِي أبي) نَطَق الشهادةَ وابتسمْ

ومضى – على آلامه وجراحِهِ – عفٌّ اللسان

حتى الذى أهوى عليه بسوطه في حُرقةِ

الشمسِ السعير

إذ كان فى النفس الأخيرْ

جدِّي دعا أن يهتدِي

ليكونَ إنسانا نقي

عَفّ الأيادي واللسان

(ملاحظة : إن الذي أهوى بهذا السوط

يُدمى جلدَ جدّي لم يكن من مصر أرض

النيل لكن .. كان جنرالا بجيش الاحتلال .

يدعى بجونِي مرْكُبولُو) .

* * *

وبحثتُ عن عمي بمعجم أسرتي

لكنني .. لا .. لم أجدْهُ

قالوا لنا : قد كان ذلك من أسابيعٍ ثلاثةْ

متلبسا .. ضبطوه .. ملتحيا ..
يصلي الفجرَ فى ثوب نظيف أبيضِ

* * *

أما أخي .. فيقولُ معجمُ أسرتي :
شاءت له شهوات قائدنا الهمام الملهمِ
أن يدفعوه إلى اليمن
ليحرر اليمنَ السعيدَ من الإمامة والمرضْ
(ملحوظة : البلهارسيا آنذاك بمصرَ كانت
ذات سلطان وجاه .. خمسون من مائة من
السكان كانوا من ضحاياها بمصرْ ..)
وهناك فى اليمن السعيدْ
حرقوا أخي
ليُسَمِّدوا برفاته أرضَ الزعيم العبقريْ
ليجودَ محصولُ الزعامةْ
عاشَ الزعيم العبقريُّ ..
(ولا ملامة)

* * *

ورأيتُ فى عينَيْ أبي المتجلِّدِ
دمعا تحجرَ كالدم المتجمِّدِ
ولمحتُ بعض أقاربي

عزَوْهُ فى غبش الظلام الأسودِ
وتسللوا لبيوتهمْ
متسَرْبلين بخوفهمْ
(ملحوظة : قد كان محظوراً على أهل الضحايا فى اليمنْ ، أن ينشروا نعيا بمصر ، أو ينصبوا بجوار بيتهمو سرادقَ للعزاء)
وبعدها مِنْ حزنِه المكتوم ماتْ
قال الطبيبُ « القلبُ ناءَ بما حملْ
غلبته أحزانٌ ثقيلةٌ كالجبل
فتفجرتْ منه العروق ولا أملْ .
لكنه فى لحظِه الذاوي الأخيرْ
سمعته ..
يدعُو لنا بالخير والحبِّ الوفيرْ
حتى الزعيم « العبقريّ الملهم »
القاتل الآلاف فى اليمن السعيد
أبي دعا أن يهتدي ...
ليكون « إنسانا » نقي
عفَ الأيادي واللسان

*   *   *

ونساء مصر لم يكنَّ بداعراتْ
بل كُنَّ نِعْمَ الأمهاتْ
وأبى (وعفوا أن أقول أبوكَ أيضاً)
وجدودنا .. ورجالنا ..
عاشوا على أرض الكنانة أوفياء
عاشوا على عشق الوفاء ..
وعلى المحبة والصفاء ..
وعلى التعفف والنقاء ..
وعلى الكرامة والإباء ..
لكنهم لا يُخْدَعونْ
قد يهدءون .. ويسكنون
لكنْ إذا انتهكت كرامتُهمْ وعزُّهُمُو المصون
الفيتَهم يتسابقون
يتقدمون كما الزلازل والعواصف لاتلينْ
أما الدمُ الغالي فعندهمو يهون

* * *

كم قلتُ له ....
ومحضتهُ نصحي ، ولكنْ ما استمعْ
« المُلْكُ لله القدير » فما استمعْ
ورفعتُ صوتي أشهد الآفاق

والأرضَ الجريحةَ والكواكبَ والمراصَدَ
والسُّدُمْ
« يا بدرُ فلتسمعْ . . تنبه . . ولْتفِقْ
فنهاية الظلم العدم »
لكنه فى الإثم غاص فما أفاقْ
متسنما عرشَ البذاءة والشقاقْ
ورصيده الإرهابُ والكذبُ المنمَّقُ والخناقْ
يا ويْحَه . . رصدَتْه عينُ الشعبِ فى غضبٍ مُبينْ
« أقسمتُ يا بدرَ المهانةِ لنَ أموتَ
ولن أهونْ »
واصرَّ أن يْرميه بالنبأ اليقينْ
سهماً جحيم الرأسِ « حراقَ » المذاقْ
فهوى الخسوف به وأغرقه المحاقْ

* * *

مـــوت منـــكوس المهــــرج

مسرحية في فصل موجز :

[المنظرُ : جثمانٌ فوق رصيف الشارع ، صاحبُه يبدو كهلا مفتول العضلات طويل القامة ، أعرَضُ ما فيه قَفاهْ ، يتجمعُ بعضُ المارة ويدورُ حوارٌ لا يخلو من حُزنٍ واستغرابْ]

الأول : رحمةُ الله عليه ، كيفَ ماتْ ؟

الثاني : شكلُه ليس غريبا ،

الثالث : بل غريبٌ غجريٌّ . .

رُبَّمَا ،

الرابع : يا جماعة ، ذاك أمرٌ لا يُهــم ، أكرمـــوا الميتَ غطوا وجهَهُ ، ريثما يحضرُ مسئولٌ محقِّقْ ،

الخامس : هات جرنا لك من فضلك كيما نســـتر الوجه به ،

السادس : خذه واترك لي أخبارَ الرياضةْ ، فبهـــا تحليلُ « متشات » الزمالكْ ،

الثاني : آه . . إني قد ذكرتُهْ . . أعرفُهْ ، أسمُه الحركيُّ « منكوسُ المهرِّجْ » ، وافـدٌ لا نعرف أيانَ ومن أين أتى ، « غجريٌّ » هكذا قال المعلم

« أبّهه » . مستدلا بوشوماتٍ على زنديهِ والصدر وجَنبي جبهته .

السابع : يا سلامْ !! كيف ماتْ ؟ فجأة ؟

الرابع : فجأةً .. أو غير فجأة ، ليس للموت كبيرٌ يا جماعة .

الثامن : كان بالأمس بميدان « الحداقةْ » – قد رأيتُهْ – عارضا فنا عجيبا . فتحدى خمسةً قد كتفوهُ بجنزير حديدْ . فى دقائق فك نفسهْ . غير لوح من زجاج يمضغهْ . دون إن يُؤدى بخدش واحدِ ، بين تصفيق مُدوٍّ . وهتافاتٍ تعالتْ : « عاش منكوسُ المهرجْ » .

التاسع : يا جماعة . قد نسيتمْ أظهَرَ الملكاتِ فيهِ : كان « أستاذا » يجيدُ الرقصَ كلهْ : غجريا .. بلديا .. وفنونَ الزارِ والجازِ وموسيقَى النَّوَرْ .

الثانى : كان عملاقا وموهوباً ولكن كيف ماتْ ؟

التاسع : ربما قد ماتَ من ضربةِ شمس .

الثامن : فى يقيني أنَّ ما قُلتَ حقيقةْ : ذات يوم قد سمعتهْ . قال فى مقهى المعلم « أبّهةْ » : « أكرهُ الشمسَ ، وضوء الشمس والدفءَ ، وأنْ افتح شباكا لنورْ ، فأنا عشتُ حياتي

أعشقُ المجهولَ والمحجوبَ والسـر الدفيْن .

وأحب الليلَ والبدرَ ولو كان مَحاقا » .

[الزحام اشتد وامتد فسد الطرقات . فجاةً : انشقت الأرضُ على صرخات ملتاع دميم السَحْنَة – ينحنى فوق الجسَدْ ، يرفعُ الجرنالَ عن وجه الفقيدْ]

الرابع : أنتَ يا هذا دع الميتَ لله . . فللموتِ علينا حُرمات .

الدخيل : لا تراعوا . . فأنا المنقذُ المحجوبُ والموهوبُ والمحبوبُ معشوق الفقيدْ

الأول : فلماذا لم تبكِّرْ بالحضـورْ . قبـــل أن يُدْهَم بالموتِ الزؤامْ ؟

الدخيل : أنا . . لا أظهرُ إلا وقت « زنقةْ » . إنه سرحياتي . . أكل عيشي ، إنه لـــو مـــات « منكوسُ » . حبيبي لا يُعدّ العيش فى الدنيا بعيشِ .

السابع : (باستغراب) : إنه لو ماتَ ؟؟!! هل عميتَ . . إنه شبعانُ موتا . .

الدخيل : لا تُراعوا . . لم يزلْ فى الوقتِ فرصةْ .

[ينحنى هذا الدخيل « المنقذ » فوق جثمان الفقيدْ ، معطيا إياه « قبلات الحياة » ويطيلُ النفخَ حتى تجحظ العينان منه]

السابع : لا حراكْ .. جسدُ المنكوسِ مازالَ بلا أَدنَى حراكْ !! .

[ويوالي المنقذ النفخ بلا جدوى وفجاة : يسقط النافخ - كالمنفوخ معدومَ النفَسْ]

الأول : لا إله إلا الله سقط (المنقذ) لا حسَّ بهِ .

الرابع : وحِّدوهْ .. أمره إن قال « كُنْ » للشيء « كان »
يستوي المشهودُ والمحجوبُ فيها ، فانظروا :
جمع الموت هنا ما بين « منكوس مهرج »
ودعيٍّ زعم القدرة في منح الحياةْ ، فهَوَى
كالحائطِ المشروخ . معدوم الحياةْ .

(ستار)

القاهرة - يناير ١٩٩٠ - ونشرت بصحيفة الوفد .

مشاهدات عبد الله التراثي :

في ســـوق العجـــائب العربية (*)

تجولت في السوق الكبيرة آملا
الاقي الغوالي : من نفيسٍ وأنْفُسِ
فشاهدت فيها جدولاً متوعِّداً :
سيُغْرِقُ مَوْجي ما دعوْهُ بأطلسِ
(وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهة)(1)
وقال الدجَى للصبح« أنت مُؤسسي»
فقالوا لظلْمات الليالي « تنفَّسي »
وقالوالشمس الصبح« مالك؟عَسعسي»(2)
وشاهدتُ « غوريلا » تباهي بحسنها
قطيع ظباء مائساتٍ وكنَّسِ (3)
وشاهدت من يَشْري العزيزَ بدرهمٍ
ومن باع ماء الوجه فيها بأبخَسِ

(*) نشرت في المسلمون العـدد (٤٨٤) . الجمعة ٣ من ذي الحجة ١٤١٤ - ١٣ من مايو ١٩٩٤ .

(١) ما بين القوسين للمعري .

(٢) عسعسي : فعل أمر من عسعس : أدبر وغاب .

(٣) مائسات وكنس : متمايلات وسائرات ، أو في كناسها أي مقامها بين الشجر .

وأصبحَ للشوكِ الأثيم مَعَارضٌ

ولم أر فيها من ورود ونرجس

وجاء « ضريرُ » القوم يلعنُ مبصراً

ويسخر من « سحبانِها »[1] كلُّ اخرسِ

و « ما درِها » [2] يُزْرى بحاتِم طيٍّء

وينكر نبتَ الجودِ فى كل مَغْرِسِ

وألقوا أمين القوم فى قاع مظلمٍ

وصفق أقوامٌ للص مدلِّس

وظل « فتى حمدان »[3] فى القيد راسفًا

و« باقلُ » أضحَى النجمَ فى كل مجلسِ

و « مَنْشَمُ » [4] دقتْ عطرها بين إخوة

فانْحسْ بعطر « مِنْشمِي » وأنْحس !!

ففى اليمن الخضراء نارٌ ككابلٍ

تمدُّ سماطاً من دماء وأنفس

---

(١) سحبان السهمى : أخطب العرب وأفصحهم .

(٢) مادر : يضرب به المثل فى البخل .

(٣) فتى حمدان : أبو فراس الحمداني .

(٤) منشم : كانت تبيع العطر للمحاربين في الجاهلية . ويقال : ما تعطر منها أحد إلا قتل . فاصبحت يضرب بها المثل فى الشؤم .

ومهرُ « قطامٍ » (١) أصبح اليوم شرعة

تسود بنى الإسلام فى شر معرس

قلوبهمُ شتى وكانوا بأمْسِنا

جميعا بحبل الله ، شُمَّ مَعاطِسِ (٢)

فهانوا وصاروا مثل عِهن مُنَّفشٍ

وتاهوا . ومن لا يملك العزم ييأس

وصارت دماهمْ مثلما الماء مُهْرقاً

تصبُّ وتُحْسَى فى أوانٍ وأكؤسِ

فقلت وفى حلقى الممزق غصة

وقد ضاق–من كرب الخزايا – تنفسي

(لقد هزلت حتى بدا من هزالها

كلاها ، وحتـــى سَامَها كلُّ مُفْلِسِ)

* * *

---

(١) يقال فى المثل « أشام من مهر قطام » أحبها عبد الرحمن بن ملجم فطلبت ان يكون من مهرها قتل على بن أبي طالب ، وبعدها قتل ابن ملجم وخسر الدنيا والآخرة .

(٢) شم المعاطس : كناية عن الرفعة والشموخ .

رسالةُ حَبٍّ عاجلة
إلى سيد نُصير (*)

(قاتل كاهان)

ولَمّا رأيتَ الخيلَ قدْريعَ سربُها ... فأَقْعَت بها أعْرافُها والقوائمُ
وماتَ الصهيلُ الحُرُّ في لهَوَاتِها ... وأعمَى مآقيها الذبابُ المنادمُ
وعشّشَ سودُ البوم في صَهَواتِها ... وليسَ لها منجًى من الكرب عاصمُ
وقيل ميادينُ العروبة أقفرتْ ... وإلاَّ فأينَ الغاضبون الضراغمُ ؟
وبدد ميراثَ الجدود عصابةٌ ... همُو والخطايا الفاحشاتُ توائمُ
فغابتْ شهاماتٌ ، وذلّت رجولةٌ ... وهانْت كراماتٌ وزلْتّ عمائم
وخانَ شقيقٌ كلَّ عهدٍ وموثقٍ ... ولذَّتْ بعينيه الدماءُ السواجمُ
وداس على أهل القضيّة غادرٌ ... حقيُر الهوى دامي الأظافر غاشمُ
وقال دعِيٌّ : إِن مِصْرًا أُعْقِمتْ ... فليسَ بها للغاشمين مُصادمُ
وسادَ بها الشر الذميمُ سَفاهةً ... فماتَ بها جوعا عديٌّ وحاتمُ
وبات صلاح الدين فيها مُسهَّدا ... وجافَى حماها عبد شمسٍ وهاشمُ
ونادى المنادي« مَنْ فتىً؟قلتَ » إِنني ... إليه الكلب كاهان بن صهيونَ قائمُ»

* * *

(*) نشرت فى صحيفة الرياض السعودية يوم الأحد ١٣ من جمادى الآخر ١٤١١ – ٣٠ من ديسمبر ١٩٩٠ .

فما هي إلا غمضةٌ وانتباهةٌ وخرَّ الخسيسُ النذلُ والدمُ ساجمُ
وفرَّ بنو الحاخامِ من هولِ ما رأوْا فلم يبقَ منهم حوْلهُ من يقاومُ
وكيفَ يُصدُّ الحقُّ والحقُّ غالبٌ وأنفُ الأُلى عادُوا الحقيقة راغمُ ؟

* * *

رصاصُكَ لويدري بأنك يوْمَها على رَمْي كاهانِ الصهاينِ عازمُ
لأخطأ عن عمْدٍ إصابةَ رأسه فليس له إلا النعالُ الصوارمُ
لذَا باتَ يَنْعي حظَّه وهو كاسفٌ حزينٌ كسيرُ القلبِ غضبانُ لائمُ
يقولُ بصوتٍ عاتبٍ« قد أهنْتَني أما كانَ غيرَ الكلب مرْمًى أصادمُ ؟»

* * *

سألناه : ماذا قد رأيتَ برأسه ومَعْك منايا صادياتٌ خَوارمُ ؟
يجيبُ :« فرأسُ الشرِّ قد كان رأسَهُ رأيتُ به ما لمْ تَسْعهُ جماجمُ
بحورَ جنايات وخزيٍ وخسّةٍ وثمةَ ليلٌ معتمُ الدرب جارمُ
وفي محجر العينين جحر ثعالب ومجرى أفاعٍ سمُّها النذلُ فاحمُ
وأما تلافيفُ الحُقُودِ فمخُّهُ أحابيلُ صيد للتآمر ناظمُ
وفي الجهة اليسرى من القاع هُوةٌ غَشَاها صديدٌ مفزعُ البخْرِ عارمُ
حواليه ذؤبانٌ وشتَّى عقاربٍ عليها من الغدر الذميم علائمُ
وأنَّى تَسِرْ لم تلق غير كريهةٍ من العارِ والحقْد المشبَّبُ ضارمُ
بكيتُ على نفسي ،فَحظِّيَ عاثرٌ ومثلي هواهُ حيث تجري الملاحمُ »

* * *

أسْيدُ : إما يسألوك بقاعةٍ محَقِقهُمْ في ساحها ، والمحُاكِمُ

« أمعترفٌ بالجُرمِ؟ أنتَ رميتَّهُ؟ » فقلْ بيقين الحقِّ والثغرُ باسم
« أنا ما رميتُ–وإن رميت –وإنما هو اللهُ رام للظلوم وقاصم
رمتّه دماءُ القدس،والقدس شاهد وفي كل نفس للضحايا مآتمُ
رمته ثكالى قد فُجعْنَ بغارةٍ بها اللهبُ العاتي – غشومٌ وجاحمُ
رمته الأيادي الخضْرُ ثارتْ لقدسها بأحجارها تُدمي العدَى وتهاجم
رمتْه حُقودٌ حالكاتٌ بقلبه هي الليلُ مشبوبُ التعصب قاتمُ
بل انتحرَ الباغي ، فلستُ بقاتلٍ ومنْ عاشَ ظلاَّما رمتْه المظالمُ »

* * *

دفاعُك لن يُجديك شيئا لأنهُ دفاعٌ عن الحقِّ المضيَّع حاسمُ
فلا تفزَعَنْ إنْ أنكروا الحقَّ من عَمًي فتضْييعُهُم للحقِّ شرعٌ مُداومُ
ومثلُك لا يأسى على عيشِ ذلةٍ به الوطنُ المطحون عانٍ وغارمُ
ولستَ تبالي حين تُقْتَلُ مسلماً فمثلك لم يضعفْ وليس يساومُ
وقد قمْتَ للجُلَّى بصدقٍ وهمةٍ وأنتَ على نيلِ الشهادة عازمُ
ومن ينْوِ أن يلقى الشهادة صادقًا كمنْ نالها : فى جنة الخلْد غانمُ

* * *

رصاصُكَ أجرى فى الخيولِ عزيمةً لها الغربُ مخلوعُ الفواد وواجمُ
فبعد توابيت الليالِي والأسَى ستهتكُ سِتر الليل والليلُ جاثمُ
وينهضُ مقْعيها ،ويصهلُ خارسٌ ويبصر ماغشَّتْه فيها غمائمُ
وتهوي ضواري البوم عن صَهَواتها وتشمخُ أعرافُ وتمضي قوائمُ
سنابكهُا ترمى الشرار ، وضبحُها هزيمُ رعودٍ أجَّجتْهُ مجاحمُ

فليس سوى حقٍ هنالك غانمٍ وباطلهُمْ تحتَ السنابك ساهمُ
يروِّعُهُ الخسرانُ من كلِّ جانبٍ وتفضحُهُ عاراتُهُ والهزائمُ

* * *

أسيِّدُ عشْتَ اليومَ والغد سيِّدا فذكرُكَ حيٌّ فى القلوب ودائمُ
تقبِّلُهُ منا ثغورٌ وأعينٌ ومنهُ على صدر الشبابِ تمائمُ
مُسمَّاك من إسم «النَّصير» حقيقةٌ عليها من العزِّ الأشمِّ معالمُ
أعدتَ إلى قلبِ العُروبة نبْضَهُ ووجهُ العلا للنصرِ جذلانُ باسمُ

* * *

الإنــــذار الأخير(*) من القـــائد الأعظم إلى زولو فلســـطين

نلقت وكالات الأنباء عن ياسر عرفات أنه لن يسمح فى الدولة الفلسطينية الجديدة بوجود الزولو الفلسطينيين يعنى رجال حماس وأنه إذا كان مانديلا يعامل الزولو برفق فإنه سيطلق الرصاص على صدور « زولو فلسطين » .

يأيها « الزولو » اللئامْ　　إنَّا على وَشَك السلامْ
لا تفسدوا جو التفا　　وضِ والتصافي والوئام
فغدا تقوم « دُوَيْلة »　　فى أرضنا أرضِ الكرام
« الحكمُ ذاتيٌّ » لنا　　وأنا علَى الحكمِ الإمام
لي حق طاعتكم ، ولي　　أمرٌ ونهيٌ لا يرام
فإذا تكلمت اسكتوا　　وإذا سكتُّ فلا كلام
إن اليهود بنو العمو　　مَة : إنهم من ظهرِ سام
وهمو لنا جارٌ لصيـ　　ـقٌ ، والجوار له احترام
ودماء ذى القربى المجا　　ورِ فى شريعتنا حرامْ
فعلام تفتعلون هـَــ　　ـذي الضجةَ الكَبرى عَلامْ

(*) نشرت فى (٢٣ من جمادى الأولى ١٤١٣ - ١٧ من نوفمبر ١٩٩٢) .

وتقـــاتلون وتقتـــــلو ن . وكل يوم فى صدام
حينا بقذف حجارة حينا بتســـعير الضرام
فدعُوا الحجارة والقنا بلَ والمتاريسَ الضخام
وإليكمو هـــــذا النذ يرَ ،وبعدها لا . . لا كلام :
إن كان مانديلا مع الزولو يلاطفُ فى الخصـــــام
فأنا ســـــعير ضارمٌ وله بحَرْقكُمو . . غَرامْ
ولأجعلن رصاصيَ المحمومَ ينطقُ . . بالحمـــــام
والسجنَ أجعلهُ مقرًّا . . للمُخالف للنظـــام
وستسحقون على يد الأبطـ ـال أبطاليَ العظـــــام
لن يتركوا منكمْ ولا حتىَ بقايـــــا من عظامْ

* * *

لا تقلقوني . . إنني أبْغي « الرواقةَ » والسلامْ
ولْتَتْركوا ذاك المسمَّى « بالجهاد » . . لكي أنام
ولْتَجعـــــلوا مني المثا لَ الحي فعلا أو كلام
أَوَمَا قرأتم ألف تصر يحٍ لنا فى كل عام
تركتْ « يهودَ » بحسرة لا يستقر لهم مُقام ؟
فلكل تصريح مــــــذا قُ الموت مسْعورا زؤام
هذا ســـــلاحٌ صارمٌ فاق المَدافعَ والحسام
إن الحسامَ إلى انكسا رٍ ذات يوم وانْعدام
أما التصاريحُ الذكيةُ فالخلودُ لها وِســـــَام
لغةُ الحضارةِ والتقدمِ والنبالةِ والنظـــــــام

* * *

يأيهـــــا الزولو اللئامْ إنا على باب الســــلام
لا تُفسدوا جـــــو التفا وض والمحبـــــة والوئام
وابغوا السلامةَ والسكينة لا الســـــكاكينَ الضّخام
وَدَعُوا الحجارَة والقنابل والتآمرَ فى الظـــــلام
ولتتركوا لي الأمرَ واسترخُوا وخـــــلوا لى الزمام
ولتهتفوا « عاشَ الزعيمُ الفذ ، عاش على الدوام »

*   *   *

رد على الإنـــــذار الأخير :
من زولو فلســــــــطين
إلى القـــــــائد الأعظم

يا صاحبَ العَظَمات يا — عرفاتُ يا خَلَفَ الكرامْ
قلْ ما تشاء : حماسٌ أو — « زولُو » أو القومُ الطَّغَام
فالأسْد أسْدٌ دائما — حتى وإن دُعيَتْ نعام
والقمة الشـمَّاء تَبْـ — قي فى شموخٍ لاتُضام
هل تنحني لو أن طفـ — ـلا قد رماها بالسهام ؟
أو أن غِرًّا قال عنها — إنها مثلُ الرَّغَامْ
لا – سيدي – فالباقيا — ت الصالحات لها الدوام

* * *

ارجعْ إلى دستور « فتـ — ـح » يوم كانت فتح هَامْ
في بنْده العشرين نصٌّ — رائع الكلمات سام :
إن الجهادَ وبالسلاحٌ لكا — لصـلاة وكالصـيام
حتـى نحرر كل شبـ — ـرٍ من أراضينا الحرام
فالنصر غايتنـا وإلا — فالمَمـات هو المرام

* * *

قل لي : لماذا سيفك الـ — بتارقد أَضْحى كَهام ؟
صدئتْ ملامحة الكريـ — ـمةُ واستبد به السقامْ
ودعوت للصلح الذليـ — ـل،« مقابلُ الإرضِ السلام »؟

الأرضُ يا عرفاتٌ أر ... ضي كيف أمنحُها اللئام ؟
ومع الأراضي كيف أمنـ ... ـحهم سلاما!؟؟يا سلام..!!
وأعيش رهن الذل مجـ ... ـروحا وأنفي فى الرغام ؟
لا - يا أبا عمار - لسنا ... للتقاعُسِ يا هُمام
إنا على درب الرسو ... ل نسير والصحب الكرام
من مثلِ خالد والمثنى ... والعبـــادلة العـظام
وعلى خطى « القسام » ... نمضي لانساوم أو نُسام
إنا « حماسٌ » يا أبا ... عمارِ - نمضي كالسهام
لا نستكين ولا نهو ... نُ ولا نذل ولا ننام
المصحف الوضاء فى ... كفٍ وفي الأخرى ضرام
فاسالْ عدوك - آسف - ... أعني عدوي والأنام
يخبرْكَ أنا موتُهُ ... وقضاؤه أنَّي أقام
وولاؤنا لله دوما ... لا لليلى أو قَطام
وإليه وجهي لا « لصـ ... ـدام » ولا للعم سام
وجهٌ وحيدٌ شامخٌ ... لا الفُ وجهٍ كل عام

* * *

وفِّر رصاصك - يا أبا ... عمَّارِها - ، وعداكَ ذام
وفر رصاصك - يا أبا ... عمارِ - لليوم القَتَام
وفره - عفوا - قد نسيتُ ... فانت تجهلُ ما الحسام
ونسيتَ شكلَ المدفع ... الرشاش عند الإلتحام
ونسيتَ نَزْفَ الجرح والشـ ... ـهداءَ فى وطني المُضَام
إنا حماسٌ في الجبا ... ل وفى السهول وفى الزحام

إنا حماسُ – وأنت تعـ ــلمُ – نتقن الضرب التمام
هات الرصاص سنشتريه بكم تبيعُ ؟ ولا ملام
هات الرصاص لفتية نفضوا عن العين المنام
شقوا الطريق إلي الجهاد على وجوههم ابتســـام
أبناءِ عشْرٍ .. بالحجا رة أشعلوا فيها الضرام
وكأنهم رضعوا الرجو لة والفدا منذُ الفطام
هات الرصاصَ لهم لكي يلقوا به الجيش اللهام
فهمو رصيد حماسٍ للتـ ـحريرِ كلهمو « عصام »

* * *

اسمع« أبا عمارٍ » قد سقطتْ زيوفُكَ واللثام
فإذا زعامتكم .. وربي رمْيَة من غـــــير رام
إنذارك « اللا يعربيٌّ » من البداية –– للختام
شعبُ العروبة داسه من طنجةٍ حتى الشآم
وجهادُنا للحـــــق ما ض فالجهادُ هو السنام
وحماسُ – يا عرفات – في الميدان تمضي للأمام
الله غايتـــــــها لذ لك لن تسلّم أو تُضام

* * *

(*) الطغام : السفلة والسوقة من الناس . الهام : جمع هامة وهى الرأس (كناية عن الرفعة) . كهام : مثلم غير قاطع الرغام : التراب . ضرام : نار . عداك ذام : حتى لا تعاب أو تذم . اليوم القتام : الأسود . اللهام : الجرار الكبير .

الأَطْفَـــالُ والحجـــارة

.... وسمعتُ صوتَ الفجر في الأفقِ الشريدْ
قدْ هزَّ أركان الدياجيِ مِنْ بعيدْ
وكأنني بجحافلٍ
سالتْ بها الوديانُ
في رهَجٍ عنيدْ
ضَبْحٌ ...
وقَدْحٌ
وانقصافٌ كالرُّعُودْ
وزَمَازِمٌ
وغماغمٌ
تُبْدى ... تُعيدْ
من ذا هنالكِ ...
في الوغى المسعور
كالأسد الهصورْ ؟؟
هذا صلاحُ الدين
قال بلا شفاهٍ ... أو لسانْ

وإذا يقولُ . . .
فقوله ماضي البيانْ :
سيفٌ عضوض الحدّ . . .
منهومُ الكيانْ
وإذا يجولُ . . . فلا كلامَ . . .
ولا ترى إلا الحسامْ .
والهامْ . .
يا للهامِ . . من فزعٍ تَفرُّ من الجُسومْ
من قبل أن يتلاحمَ الأَقْرانُ كالريح السمومْ
. . . أ « صلاحُ » هذا مِنْ وراءِ الغيب جاءْ
ليُعيدَ « حطينَ » الكرامة والبطولة والفداءْ ؟
أم مَنْ أرى « قَطُزٌ » و « بَيْبَرسُ » والكتيبةُ واللِّواءْ
في « عينِ جالوتِ » العزيمةِ والرجولةِ والدماءْ ؟

* * *

لا يا فَتَى الشعراء . . .
لا قُطز هناك ولا صلاحْ
وما تراه اليوم . . .
لم يكُ بالسيوفِ ولا الرماحْ
لكنّما . . .
ثارتْ « محاريبُ المساجد » في فلسطين الذبيحهْ

فَرَمَتْ « بأفلاذِ الكبودِ » الخُضْرِ في القدسِ الجريحهْ
أبناء عشْرٍ ....
بالأيادي اللُّدْنِ ...
هبُّوا يزأرونَ ... ويثأرونْ
يتمردون على الحديدْ
وينفضون لظى القيودْ
وبالحجارة ينهضونْ ..
يتقدمونْ ....
يتقحَّمُونْ ..
لا يرهبونَ لظى المدافِعِ واليهودْ
لا يَفزعُونَ ... ويُفزِعونْ ...
أبناء « صهيون » أمامهمُ تَهونْ
ويهرولونَ كأنهم من كل فجٍّ ينسلونْ

* * *

هذي « محاريبُ المساجد »
أنجبتْ « رجلا » سويًّا ...
بطلاً .. صبيًّا ...
لم يحُزْ تاجا ... ولم يَنْشَأ ثريًّا ..
ولقد يُقَضِّي اليومَ ... لا يقتاتُ شيًّا ..
صار الفتى المهْزولُ – يا قاداتنا – هوْلاً عتيا

لا تسألُوا عنهُ المدافع والبنادقْ
فمكانُه ليس « الطوابى » والخنادقْ
لكنه بحجارة صَمَّاءَ يقتحمُ الحشودْ
ويريق فى عَرَصَاتِها دَمَّ اليهودْ
لا يستكينُ . . .
ولا يهونُ
ولا يحيدْ
. . . هذا الصبي المعجزةْ
خريج مدرسة « المحاريبِ » الزكيّهْ
قد أعلن الحربَ العتيَّهْ
وهتافه قد زلزل الآفاق فى كَلِمٍ قويه :
« يا يُها الإسرائليون البغاهْ
لنْ تَنْحني منا الجباهْ
أقسمت أنْ أسقيكُمٌ كأُسَ الحتوف
بلا مدافعَ . . . أو قنابلَ . . . أو سيوفْ
ولن تناموا
لن تناموا
ما دامَ فى كفِّي حجرْ
حتى إذا نَفَدَ الحَجَرْ
هدَّمْتُ بيتي

ليكون أنقاضًا حجارهْ
أرمى بها حتى النهايهْ
حتى إذا لم يبق بيتٌ أنقضُهْ
فسأنبشَنّ قبورَ آبائي وأجدادي الأُباهْ
ولأرْمينَّ وجوهكُمْ بعظامها ورفاتها
حتى نعيش حَياتَنَا شُمَّ الجِباهْ »

* * *

سَلمتْ يمينُك يا فتى . . .
سلمتْ يداكْ
. . . علِّمْ كبارَ القومِ من ساداتنا
– سلمَت يداك –
أن الرجولة لن تَكون ولم تكنْ
يوما كلامْ
علِّمْهمُ . . . أنَّ الرجولة لن تكونَ
ولم تكنْ . . . يوما سلامْ
فرضتْه ذُوْ بانٌ لئام . . .
ليكونَ شرْعةَ أمة صارتْ غُثاءً أو رغامْ
لتمرّغ الجَبهات عند نعالهمْ
طلبا لمالٍ أو طعامْ
علمهُمُ أنَ الرجولة لا تكونُ ولم تكنْ

أن أطلبَ الصلحَ الذليلَ من الدخيلْ . . .
وحذاؤه يطأ العيونْ
ونيوبُه تَجَأ البطونْ
يا للمذلة والهوانْ !! . .

* * *

علِّمهمُ . . .
أن الرجولةَ
أن يصيرَ المسلمُ المغْوارُ أُمَّهْ
من نفسه جيشا لُهامًا . . .
يجعلُ الحريةَ القَعْساءَ هَمَّهْ . . .
من أجْلها . . .
ينْسَى أباهُ . . . وأمَّهُ . . . ويريقُ دمَّهْ . .
ويهزُّ أعماق الوجود
بصرخة العزِّ الأبيِّ . . .
« أنا هنا .
لا تسألوني من أنا !!
أنا جُرْحُ أمَّهْ
لن تهادنَ . . .
لن تنامَ . . . ولن تُسالمْ
أنا ثأرُ آباءٍ قَضَوْا في دير يسينَ

وكفرِ قاسمْ
أنا صوتُ أمٍّ مُزِّقَتْ فى « ديرسنيدْ » ...
أنا نَزْف عِرْضٍ هتَّكتْه يدُ اليهودْ »

* * *

... علِّمْ كبار القوم من ساداتنا ...
علّمهُمُ ... يا أيها الطفل الأبي
علمهمُ - سَلِمت يداك -
أن الحكاية لن تكون ولم تكنْ أبداً سلاحْ
فالمدفعُ الرشاشُ في كفِّ الجبانْ
عَبْءٌ ثقيلْ
أملٌ ذليلْ
أمّا الحَجَرْ
في كفٍّ طفلٍ مؤمنٍ
يرميه بالعزمِ السعيْر
في وجْه أعداء الوطنْ
هذا الحجرّ ...
في كفِّك الخضراءِ يا ولدى الحبيب
- أقسمت بالفجر القريب -
ما عادَ - يا ولدى - حجَرْ
إنِّي أراهُ شرارةً حمراءَ ...

جمراً . . . بل لهيبْ
فيه حرارةُ ذلكَ القلبِ الأبّي
فيه الشموخ وصوتُ ماضينا الوضيْ
هذا الحجر . . .
ما عادَ – يا ولدي – حَجَرْ
إني أراهْ
عزْماً زأرْ . . .
موتاً همَى
ما كنت أنتَ القاذفَ الحجر العتيّ
لكنهُ اللهُ رمى . . .

* * *

سَلمتْ يداكْ . . .
علّم كبارَ القوم من قاداتنا . . .
أن الألَى غَصَبُوا فلسطينَ الحبيبةَ
من صهانيةٍ يهودْ
لم يكونوا معجزه
لكنما الوهمُ الجبانُ . . .
هو الذى أضفى عليهم فى الخيالْ
ثوبَ البطولة والرجالْ
ثم ادّعى أن الهزيمة فى حياتهُمُ مُحَالْ .
فالقلبُ حينَ يراع يَخْلقُ ما يَشاءْ
فيرى دبيبَ النمل كالريح العَصُوف . . .

ويرى ذبابَ الأرض كالرعدِ القَصوفْ ...

* * *

يأيّها النومُ من ساداتنا ...
قومُوا اشهدوا ...
خَلُّوا القيادةَ للصغارِ ... فهمْ كبار
... وصدقوني ...
همْ كبارْ ...
إن كنتُمُ في مرْية مما أَقُولْ
فلْتسألُوا جيشَ الصهاينةِ « الهصوْر »
لما تساقَطَ جُنْدُهُ ...
وهوى ذليلاً بَندُهُ
وغرورُهُ ... وعِنَادُهُ ...

* * *

يأيُّها النُّوَّامُ من قاداتنا ...
خَلُّوا القيادةَ للصغار فهمْ كبارْ ...
والمجدُ للأحرارْ
والنصر للأحجارْ
وغداً بعزمِهِمُ نرى الفجرَ الحبيبْ ...
وغدٌ لناظرِهِ قَرِيبْ

إسلام آباد باكستان

٣١ / ٣ / ١٩٨٨

صَـــوْتُ حَمَـــاس

**... وفى فلسطين أرض الهدى والنور والدم والزيتون :
أعلنت حركة المقاومة الإسلامية ميلادها باسم [حماس] وجاء فى ميثاقها أنها حركة « منهجها الإسلام وشعارها لله غايتها والرسول قدوتها والقرآن دستورها والجهاد سبيلها والموت فى سبيل الله أسمى أمانيها .. » أما رؤيتها السياسية فتتلخص فى أنه « .. لا حلّ لقضيه فلسطين إلا بالجهاد . أما المبادرات والطروحات والمؤتمرات الدولية فمضيعة للوقت وعبث لا جدوى من ورائه » .**

ورأيتُهُ والأفْق يَشْدُو حَوْلَهَ
وكأنهُ مِنْ نورِه أعْراسُ

اللهُ أكبَر ، مَن أراه؟ . محمدٌ؟
أقدِمْ فدتْكَ العينُ والأنفاسُ

أقدِمْ رسولَ اللهِ هذى خيبرٌ
عادتْ تنَجَّسُ منهُمُ الأقْداسُ

سلبوا الديارَ، وهَتَّكوا أعراضَها
وقيادةُ العُرْبِ الكرامِ نُعَاسُ

مَرْحَى أميَر الأنبياءِ أمَمْتَهم
فى ليلةٍ فاضتَ بها الأقباسُ

عفْوا ! ولكنْ أينَ أينَ تَؤمُّنا ؟
والقدسُ ضاعَ وأمَّنا الأنْكاسَ؟(١)

---

(١) الأنكاس :جمع نكس وهو الوضيع الدنيء : الذى لا خير فيه

محرابَك الوضّاء أضحى نُهبةً
لعصابةٍ بَصَقُوا عليه ، ودَاسُوا

وغَدَا مزارًا للسياحة بعْدما
قدْ غابَ عنه النورُ والإيناسُ

لا تُسمَعَ الأنفالُ فيه ولا الضّحى
والذاريات ويونسٌ والناسُ

فارفعْ «عُقابَكَ» عزةً وكرامةً
وعلى جبينِك همةٌ وحماسُ

* * *

الله أكبر جندُ أحمدَ أقبلوا
وجميعُهم شُمْسُ العِنادِ كِياسُ

أبطالُ بدرٍ والرجيع وخيبر
مرفوعةً راياتهُم والرّاس

هذا بلالٌ والبَراءُ وخالدٌ
هذا عليٌّ وعمُّه العباسُ

هَتَكُوا دُجَى التّاريخ وانْشَقّت لهم
أعماقُ هذي الأرضِ والأرْماس (١)

فإذا الجبالُ هَزَاهِزٌ مبهورةٌ ..
وهمُو على خيل الوَغَى أحْلاسُ (٢)

* * *

(١) الأرماس : القبور .
(٢) الحلس : كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج . والشطر كناية عن الفروسية والمهارة

ما كانَ ما صوَّرْتُ رؤيا شاعرٍ
غَلَبَتْهُ أحزانٌ بها وَنُعَاسُ
بلْ كان صورةَ واقعٍ مشهودةً
لم تُخْطِها عينَايَ والإحساسُ
بُعِثَ الصحابة – من جديد – فَيلقًا
عزَماتُهُ نارٌ ، والاسْمُ « حمَاسُ »
إنَّا هُمُو فى بأسِهم ويقينهمْ
حربٌ يَشيبُ لهوْلها الأخْياسُ (١)
إنَّا بلالٌ والبراءُ .. وخالدٌ
إنا عليٌّ وعمه العباس
إنَّا صلاحُ الدين فى جولاته
راياته قَدرٌ يروعُ وبَاسُ
إنّا «حماسُ الحقّ» طاب غراسنا
فإمامُنا « البنّا » هو الغرَّاسُ
وعلَى هُدى «القسام» يمضي جندنا
العزمُ درعٌ ، والجهاد أساسُ
جِئنْا مع الفجر الشهيد لثأرنا
مِمَّنْ على ظهر الحقيقة داسوا

(١) الأخياس : الخونة .

ممن على جَسَد الشهيد تربّعوا
ممن خلال ديارنا قدْ جاسُوا
إن تسألوا ،من أنتمو؟قلنا لكم
« إنَّا لدين محمد .. حُرّاسَ
الله غايتُنْا ، ومُصْحفُ ربِّنا ..
- في نهْجنا - المشكاةُ والنبراسُ
وزعيمنا هو أحمدٌ لا غيرُهُ
وقلوبُنَا منْ نوره أَقْبَاسُ
وسبيلنَا بذْل الدماء رخيصةً
والموت في ساحِ الوغى أعْراس
أسمى الأماني أن تُراقَ دماؤنا
كي لا تكون بقدسنا أرْجَاس [1]

* * *

خلُّوا الطريق لنا فنحن الناسُ
أما الذين بَغَوْا فهمْ أنجاسُ
وارفعْ جبينك يا وريثَ محمد
حتى يُراعَ الغادرُ الخنّاس
واشهرْ سلاحَك فالحقيقة أنّهَ
بسلاحنا كلُّ الأمور تُساسُ

---

(١) الأرجاس : النجاسات .

وانفضْ قيودَ الذلِّ عن ساحاتها
حتى يذوبَ الذلُّ والنَّخَّاسُ (١)
مَسْرى النبيِّ لنا جميعاً كله
لا النصفُ..لا الأرباعُ..لا الأخماسُ
واهتِفْ معي بالحق هتْفةَ مسلمٍ
« فلْتَسْقُطْ الأقلامُ والقرطاسُ
وليسقط الصلح الذليلُ وأهله
ممن تَخَنَّثَ منهم الإحساسُ »
شأن الأُلى عقدُوا التصالح وادعوا
« ما مثلُنا قوادُ أو سُوَّاسُ
إنَّا أخذْنا ما استطعنا أخذه »
كذَبوا فقد خانُوا العهودَ وخَاسُوا (٢)
ذبَحوا الحقيقةَ واستباحُوا عرْضَها
وكأنّهم في غدرهم « جَسَّاسُ » (٣)
قالوا « السياسةٌ خُدعة » فإذا بهم
وكسوبهم من صلحِهم إفْلاسُ
والحرُّ يأبى أن يهانَ بأرضه
أوْ أن يَرَى مَسْرَى النبى يداسُ

---

(١) النخاس : تاجر الرقيق .
(٢) خاس : غدر وخان
(٣) جساس بن مرة هو قاتل كليب غيلة وقامت بين قبيلتيهما حروب البسوس . التى استمرت أربعين عاما .

والمؤمن الحقُّ الحديد فؤادُه
جافاه داءان : الأسَى والياسُ
لكنهُ الغدرُ الأثيم رجالُه ..
ومؤامرات ليلها دمّاسُ (١)
فقضيتي هى مدفعي ، وقضاؤهم
فيه التنازل والهوانُ أساسُ

* * *

خلّوا الطريَق لنا فنحن الناسُ
أما الذين بَغَوْا فهم أنجاسُ
فصلاتنا وجهادنا .. لإلهنا ..
وسجودُهم لعدوهم قُدّاسُ
والدَّمُّ والعرقُ الصبيبُ وسامنا
ووسامهم ذهبٌ نضارُ ومَاس
يا خيبَر العصر الحديث ألا اسْمعي
صَرَخَ النذير ، ودقَّت الأجراسُ
رايات أحمدَ من جديد قد بَدَت
تحمى حماها بالنفوسِ « حَماسُ »
سنعيد خيبَرَ حين كانت طُعْمةً
للسيف يعمل والرَّدى فَراسُ (٢)
والبأسُ عُدتنا التي لا تنثنى
« والقول قولك ، فلتقل يابأس

(١) دماس : شديد الظلام . (٢) فراس : شديد مفترس .

هذا أوانُك للأمورِ تسوسها

بالمدفع الرشاش أنّى جاسوا »

لنعيدَ شرعَ الله يحكمُ أرْضَنَا . .

ويسودَها القرآنُ والقسطاسُ

ويُهَتِّك الليلَ البهيمَ ظلامُه

هودٌ ويوسفُ والضحى والناسُ

ولآلِ عمرانٍ ضياءٌ غامرٌ

ولطه من عطرِ التُّقَى أنفاسُ

* * *

خلوا الطريَق لنا فنحـــــن الناس

قَدرٌ يُصَبُّ عليكمو نَهَّاسُ (١)

ولْيَكْتَبْ التاريخ فى صفحاته

أنّا لدينِ محمدِ . . . حرَّاسَ

ولينصَرنَّ الله ناصرَ دينه

هذا هو المعيار . . والمقياس

* * *

---

(١) نهاس : شديد قوى .

إعلان مدفوع الأجر :

أوكازيــــون الـــدم العـــربيّ (*)

شركةُ « رابينَ » الكبرى
تُعلن لجميع زبائنها
عنْ « أوكازيونٍ » مفتوحٍ بمعارضِها
في ساحةِ ما يُدْعَى « بالحرِمِ الابراهيمِي »
لدماء جيدة الأنواعْ :
نسبةُ « هيموجْلوبينٍ » عاليةٌ جدا
فَدَمٌ منحدرُ صاحبُه من صلْبِ تميمٍ
الداريٍّ
ودمُ حاملهُ من أصل مُعْتصمي
ودمٌ صاحبهُ من أصلِ صلاحِ الدينْ
ودمٌ حاملهُ – قالوا – من أصل القسامْ :
عزِّ الدينِ القسَّامْ
كلُّ الأنواعِ المذكورهْ

(*) نشرت بصحيفة « المسلمون » بعد مذبحة الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل .

(والمجدُ لإسرائيلَ الكبرى)
نَزَفت من قطعٍ ممتازه
من كتفٍ .. أو عنقٍ .. أو ظَهْرٍ .. أو رأسٍ
وبأيدي خبراء الدم
من أمهرِ « كاهانيين »
والثمنُ رخيصٌ .. وزَهيدُ
طلابُ الجملة لهُمُ خَصْم خاصّ
والجملةُ تبدأ من خمسة جالوناتْ
(ملحوظةْ : كلُّ الآنواعِ المذكورةِ
تصْلحُ لفطائر صهيونَ الدسمَهْ) .

* * *

لماذا انْحَنَيْتَ ؟ ! !(*)

تقديم : كان الشاعر الجاهلي : الأسْعَر الجحفي : مرثد بن أبي حُمران غلاما عندما قُتل أبوه ، ورأى إخوته الكبار يأكلون دية أبيهم ، ويبيعون فرسه ، ويسمنون أمهم ، ثم زوجوها لرجل غريب سيء الخلق ، خشن الطباع فنظم قصيدة يهجو فيها إخوته الكبار الذين فرطوا في أمهم وتركة أبيهم ، وفي قصيدته يقول :

باعوا جوادهُم لتسْمنَ أمهمْ ولكي يعودَ على فراشهمُ فتَى

وكان لقصيدة الأسعر الجحفي أثر عميق في نفسي دفعني لنظم قصيدتي هذه التي تخيلت فيها طيف الأب المقبور بواجه أكبر أبنائه الذي تولى كبْر الإجرام في حق أبيه وأهله بعد مماته ، وأقول : « ما أشبه الليلة بالبارحة » .

ألَمْ أوصكَ الأمْسَ قبلَ الممات فأيْنَ وَصاتي التي قَدْ أضَعْتَ ؟
وفيها سَطَرْتُ « تزولُ الجبالُ ولا، تَنْحني أبدا فانْحَنَيْتْ
وفيها « ستعصفُ هوجُ الرياح فكُنْ قمةً صُلبة فانْحَنَيْتْ
وفيها « سيمتَد ليلُ الأسَى فلا تَبْتَئسْ بالأسَى فانْحَنَيْتْ
وفيها « يكونُ جفافٌ وجوع فَمُتْ بالطوَى شَامخًا فانْحَنَيْتَ
وفيها « انتصرْ بالثبات العَتي وبالصبْرِ في عزةٍ فانَحَنَيْتْ
فأينَ وصاةُ أبيك الَذي إلى دفء مُهجَته قَدْ أوَيْتْ ؟

(*) نشرت بمجلة المجتمع (الكريتية) العدد ١٠٩٤ ، (٢٤ شوال ١٤١٤ - ٥ إبرايل ١٩٩٤) .

وكَمْ سهر الليلَ يَحْمي حماك ويبكي دماءً ، إذا ما بكيْتْ
ويحمل عنكَ همومَ الحياة ويَرْعى الذى يعدهُ ما رعَيْتْ
عصيْتَ وصاتي التى صغتُها بدمّي ، وللمخزيات مشيْت
وكنتُ أظنك نعمَ الوريثُ !! فكيف تبيعُ الذي مَا اشْتَريْتْ ؟!
فبعْتَ جوادي الأصيلَ الكريمَ وأمًا ، وأختًا ، وأرْضًا ، وبيْتْ
وشعريَ بعْتَ ، ونَخْليَ بعْتَ وسيفي،ورُمحي،وسرْجَ الكميت!!
وبعتَ سريري الذى فوقَهُ ولدتَ ، وكم نمتَ حتى استويت
للصٍّ بَغي عُتُلٍّ .. زنيم على قدمَيْه – خسئت – ارتميْتْ
لتلثم نعليْه .. فى ذلة وتلعَق طينَهما ، ما استحيْتْ !!
فكيف تبيعُ التراثَ العزيزَ بكسرة خبز ، ونقطة زَيْتْ ؟!
وتاجٍ من الشوْكِ يُدْمي الجبينَ ووعْدٍ كذوبٍ ،وكيتَ ،وكيْتْ
وعرشٍ حقيرٍ له لَمْعَةٌ من البهْرجاتِ .. إليه ارتقيْتْ
ولم تدْرِ أنك حينَ أعتليْتَ هبْطت بمَا أنت فيه اعتليْتْ
وفى موكب الذل صرت الأميرَ ذليلا كسيحَ المسار مَشيْتْ
فلا تملكُ الأمْرَ إمْا تَشَا ولا النهي تملكُ إما نويتَ
وتصدعُ بالأمر .. إمَّا أمرْتَ وينفذ أمرُ العدا إن نهيت
فلما سكرت بخمر الخداع ومالتْ بك الخمرُ لما انتشيْتْ
غدوتَ لغيركَ .. أضْحوكة فليس سوى الخُسْرِ ما قد جنيْتْ
وقلنا « اكتَفَيت بما قد جَمَعْت من العار » لكنما ما اكتفيْتْ
فعنْ قوسِ أعدائنا قد رمَيتْ فواحسرتاه على من رميت !!
بسهْمكَ خرّ عَزيزٌ – أبيٌّ بجمْركَ قلبًا طهورًا .. كويت
أتحمي حياة العدوِّ العقورِ وأيضا تُراثي لهُمْ قد حميت !!

أأبْكي عليكَ ؟؟أأبكي إليكَ ؟؟ أأبكي علينا لما قدْ جنيت؟!

ففي غدكَ المستباح الجريح ستصرخ «يا ليتني ما انحنيت»

ويرتدُ سهمُكَ في مقلتيْكَ ولن ينقذ البيتَ آلافُ «ليت»

فليس لما قد كسرتَ انجبارٌ بما قد جررت ، وما قد غويت

وتدركُ بعد فوات الأوان بأنك لما انحنيت .. انتهيْتْ

وما دمتَ قدْ بعْتَ حتَّى الحُطامَ ولم تُبق أمًّا ، وأرضًا ، وبَيْتْ

فإنِّيَ أخشى غدا أن تبيعَ عظامي ، وقبراً به قد ثويت

* * *

بـــــــــــراءة .. (*)

.. ونحن نعيش عصر الغربة والكربة ... أقول لقلمي ..

١. برئْتُ منكَ إذا ما هُنْتَ يا قلمُ
فلم يُفجِّرْكَ فى ليلِ الأَسى الألمُ

٢. أوْ إنْ تقاعسْتَ عن رَمْيِ الألَى غدروا
وكان أرخصَ ما يشرُونه الذممُ

٣. أو إن تهاونْتَ فى حقٍّ نكونُ بِه
ناساً ، ومِنْ غيرِهِ إنَّا ولا البَهَمُ

٤. برئْتُ منك إذا لم تَغْدُ جاحِمةً
سعيرُها المرُّ قد فاضَتْ به الكَلِمُ

٥. أما الوقودُ فنذلٌ ساقَ أمتَهُ
إلى الحضيضِ ، فلا دينٌ ولا قيمُ

٦. لتنطوي صفحةُ البطلانِ خازيةً
ويسقَطَ العبدُ والأفاقُ والصنم

٧. والناسُ إنْ ظَلَموا البرهانَ واعتَسَفُوا
فمِنْ هوانِ الحِمَى أن يُقبَلَ السَّلَمُ

(*) نشرت فى مجلة المجتمع (الكويتية) العدد (١٢٤٠ – ٢٥ شوال ١٤١٧ – ٤ مارس ١٩٩٧) .

٨. ولا تكنْ لي كأقلامِ الأُلى مَرَدُوا
على النفاقِ ، وبالحرْماتِ قد نعموا

٩. يقبِّلون ترابَ المحسنين لَهم
وفوقَ أرْؤُسِهم قرَّتْ لهم قدمُ

١٠. إنْ قال سيدُهمْ « لا » فَهْيَ كِلْمتُهمْ
وإنْ يَقُل « نَعَمٌ » قالوا ، « نَعَمْ » نَعَمُ

١١. عُمْيٌ عن النورِ ، فى آذانهم صَمَمُ
لا ينطقون بحقٍّ ؛ إنهم بُكُمُ

١٢. يرضون بالدُّونِ والدنيا إذا نعموا
أما إذا حُرِموا أطماعَهمْ نَقِموا

١٣. كأنهم فى مسارِ العمر قد خُلقوا
بلا عقولٍ ، فهمْ فى عيشِهِمْ غَنَمُ

١٤. ارفُضْ دروبَهُمُ ؛ فالذل دينُهُمُ
وأنت بالدينِ شهْمٌ مُفردٌ عَلَمُ

١٥. واحْقرْ مدادَهُمُ ، واجعلْ مدادَكَ مِنْ
دَمْعٍ يمازجهُ مِنَ الجراحِ دمُ

١٦. واشدُدْ عليهم بروحِ الله مقتحِما
وافضحْ حقيقةَ ما باحُوا وكما كَتَموا

* * *

١٧. برئتُ منك إذا هادنتَ طاغيةً
دستورُهُ البغيُ والإجحافُ والغَشَمُ
١٨. السجنُ والقيدُ والعدْوانُ عدَّتُه
وشرُّ أعدائِه الإسلامُ والقِيَمُ
١٩. يقتاتُ دمعَ الضحايا فى زنازِنهمْ
كأن أنّاتِهمْ فى أُذْنِه .. نَغمُ
٢٠. ويدّعِي أنه للعدلِ ملْجؤُهُ
وأنه للجياع الخبْزُ .. والأدَمُ
٢١. وأنه عبقري العصرِ والعَلَمُ
ومثلَ فطنتِه لم تُنجِب الأمُ
٢٢. وهْوَ الذى ذبحَ القانونَ مِنْ سَفَهٍ
وضجَّ مما جَناه الحِلُّ والحَرَمُ
٢٣. له بطانةُ سوءٍ كمْ طغتْ وبغتْ
وهُمْ على الشعبِ دوْماً نكبةٌ عَمَمُ
٢٤. يأيهذا الذى ماتتْ بصيرتُه
حتى استوتْ عندَه الأنوارُ والظُّلَمُ
٢٥. لقد غدوْتَ كوحْشٍ ناشَ إخْوتَه
ولم تَرِقَّ لمنْ كانتْ لهمْ رَحِمُ
٢٦. رأيْتُ نارَك فى الأعداءِ باردةً
لكنْ علَى الأهلِ جمرٌ ساعرٌ .. حُمَمُ

٢٧. لمثلِ هذا تَصَدّ اليومَ يا قلمُ
وقلْ لهم : أيها الباغونَ ويْلكُمُ

٢٨. فتحتَ هذا الرمادِ النارُ ساعرةٌ
وخلفَ هذا السكونِ العاصفُ العَرِمُ

٢٩. حتى إذا جاء يومُ الهولِ وانطلقتْ
فيه البراكينُ والإعصارُ والضرَمُ :

٣٠. تولت النكبةُ النكباءُ أمرَكُمُ
كما جنت عادُ ، أو ما حصَّلَتْ إرَمُ

٣١. ولَنْ يكونَ لكم فى الأرضِ مُعتَصَمُ
ويومها ليس يُجدي الدمعُ والندمُ

* * *

٣٢. برئتُ منك إذا ما سرْتَ يا قلم
في درْب لاهين عن جِدِّ الأمورِ عَمُوا

٣٣. لا تنتسبْ لى إذا شاقتْك غانيةٌ
فقلتَ أواهُ يا بانٌ ، و يا عَلَمُ

٣٤. أو كان همُّك جيراناً بذي سَلَم
إذْ جاد بالبرق فى ظلْماتِها إضَمُ

٣٥. فشقَّك الوجْدُ حتى صرْتَ مِنْ كَمَد
قعيدَ جُرحِ غرامٍ ليسَ يلتئمُ

٣٦. وكيفَ تغْفَل عن حسناءَ موثَقَةٍ

يعضُّ فيهَا حديدٌ مجرمٌ نَهِمُ

٣٧. فَضُّوا بكارتَها ، داسوا كرامتَها

وهامَ فى مُقْلتيها البؤسُ والعَدَم

٣٨. جزُّوا ضفائرَها ، هدّوا منائرها

وكلُّ آذانِنا عنها .. بها صَمَمُ

٣٩. نادتْ « وَمعتصِمَا » أدْركْ عقيلَتَكمْ

قال « الأشاوسُ » : نامي ماتَ معتصمُ

٤٠. لكنْ هناكَ البديل الفذّ فى يدنا

حتى يسودَ التُّقَى والعدلُ والسَّلَمُ

٤١. مباحثاتٌ ، وتصريحٌ ، ومُؤتمرٌ

كذا « عناقٌ » يليه الوعْدُ والقسَمُ

٤٢. نِلْنا بغزةَ مُلكاً غيرَ مُنتَقَصٍ

أيضا « أريحا » رَسَتْ فيها لنا قدمُ

٤٣. أما الخليلُ فتأتينا « مُقسطةً »

ففى التفاوض مازلنْا لنا عَشَمُ

٤٤. وإن تمادَى العِدى فالحلُّ مؤتَمرٌ

ضخمٌ لنشْجُبَ ما عاثوا وما أثموا

* * *

٤٥. برئتُ منك إذا هادنتَ من وَهَنُوا
أهلَ التنازلِ – واعاراه !! – يا قلمُ

٤٦. قالوا : « مقابلُ أرضٍ سِلْمُنا لهُمُ »
وحالُنا الآنَ لا أرض ولا سَلَمُ

٤٧. فالسِّلمُ سِلْمهُمُ ، والأرضُ أرضهُمُ
والقدسُ قدسهُمُ ، والحاكمون هُمُ

٤٨. والقائدُ « الفذُّ » يَمضِي في متاهتِهِ
يُبدي التنَازل دوْماً وهْو مبتسمُ

٤٩. كأنما الأرضُ من ميراثِ جدتِه
إنْ يغْتنمْهُ فلا إثمٌ ولا غَشَمُ

٥٠. وإنْ تنازلَ عنْهُ فَهْيَ مَكْرمَةٌ
مِنْ قائد قدْ نماه العزُّ والكرم

٥١. افضحهُ يا قلمي واكشفْ مخازِيَهُ
وانزعْ ستائره كي تشْهدَ الأممُ

٥٢. ففي سجونِ « أريحا » فتيةٌ عزموا
على الجهادِ فكانوا رهْنَ ما عزموا

٥٣. قد عاهدُوا الله أن تمضي مسيرتُهمْ
على الفداء ، فما خارتْ لهم هِمَمُ

٥٤. أبناءُ « أحمدَ ياسينٍ » وإخوتُه
ما طأطؤوا الرأسَ مهما يفعل القَزَمُ

٥٥. وذنبهَمْ أنهم للحقِ .. فِتْيتُه

إنْ أوْعَدوا أرْعبوا ، إن يضْرِبوا قَصمُوا

٥٦. وذنبهمْ أنهم صاغُوا ملاحمَهُمْ

حروفُها الجمرُ ، لا الأشعارُ والكَلِمُ

٥٧. وذنبهم أنهم صبوا سعيرَهُمُ

على اليهودِ . وللأقّصى قد انتقموا

* * *

٥٨. أقسمتُ أنِّي بريء منك يا قلَمُ

حتى تمزق ما خطُّوا وما رسموا

٥٩. كنْ للحقيقةِ والإنسانِ مُنتصراً

سلاحُكَ الحق والإيمانُ والشَمَمُ

٦٠. كيما يُؤذّنَ فجرٌ طالما احترقتْ

شوقاً إليه عيونٌ هدَّها السقَمْ

٦١. حتى تكونَ جديراً بالعلا أبداً

فأنتَ و « النونُ » فى قرآننا قَسَمُ

أَمَـــلٌ وبُشْرى (*)

شبابَ الحمى يومَ التخرجِ «مرحبا»
لقد جئتُ أهديكم هديتيَ الغَرَّا
وساءلتُ نفسيّ يا تُرى ما هديتي؟
فعادتْ إلي النفسُ من حيرةٍ حَسْرى
فَلا أنا من حَازَ الخيولَ : عتاقَها
ولا أملكُ الأموالَ والأرضَ والدرّا
ولكنَّ خيرَ الخلَقِ قد قالَ حكمةً
بأنَّ بيانَ المرْءِ قدْ يحملُ السِّحْرا
وعنْدي من الشِّعْرِ الكريم حديقةٌ
زرعْتُ بها الريحانَ والوردَ والزَّهْرا
وروّيتُها من عطر «طه»و« بالضحى»
و«بالنور»و«الإخلاص»و«الفجر»و«الإسرا»
لذلك أهديكُم غوَالي مَشاعري
وقدْ صغْتها من ماءِ قلْبي لكم شِعْرا

* * *

(*) هذه القصيدة – والقصيدتان التاليتان – اخترتها من القصائد التى نظمتها بمناسبة تخرج طلاب جامعة الملك فهد التى أعمل بها ونشرت بمجلة «أخبار الجامعة» العدد ١٧٥ – ١٦ من المحرم ١٤١٤ – (العدد السنوى – جامعة الملك فهد بالظهران).

لجامعةِ الفهد العريقة جئتمُ
لكى تدفعوا للمجدِ مِنْ جُهدِكُمْ مهْرَا
وإني وقد ذابتْ من الفرح مُهْجتي
أقولُ – بإخلاصٍ – لأبنائنا : بُشرى
عَرائِسُنَا علْمٌ وفِكْرٌ .. ومَعْملٌ
وشلاَّلُ حُبٍّ قد جرى نحوكم ثرًّا
وإنّى أراها فى ائتلاقٍ وفتْنَة
تمايلُ – منْ سَعْدٍ – كَنشْوانةٍ سَكْرى
دعوني أملي العينَ والقلبَ منْكُمُ
لأحْيى بكُمْ مَعْنى الثقافةِ والفكْرا
فبعد سنينٍ خمْسَةٍ قد خَرَجْتُمُ
بِكَنْزِ عُلُومٍ تَنْشُدُون بها الخيرا

* * *

شبابٌ إذا هزُّوا الصحارى رأيتها
حدائق غُلْبًا تحملُ الرزقَ والعِطْرا
وإنْ فجَّروها فى عميقٍ بها أتتْ
بنفْطٍ كريمٍ يجْلِبُ الخيرَ والبِشْرَا
ومنهمْ على «الحاسُوبُ» يأتي مهندسٌ
ويأتى خبيرٌ يَكْشِف المعضِلَ السِّرَّا
بُنيَّ – رعاك الله – هَاكَ هديتي
تمسَكْ بأهدابِ الشريعةِ كيْ تثرى

فإن نُخاعَ الدينِ سيفٌ ومصحفٌ
وعلمٌ وعزْمٌ لاهبٌ يقْهرُ القهْرا
فإما تمسَّكْنا به كان نصْرنا
وإمَّا هجرْناه غدوْنا ولا صِفْرا
وهذا ابن عبد الله خاتم رسله
يحقق نصرا رائعا قد تلا نصرا
وما حقَّق النصر الأبيَّ تواكُلاً
ولكنْ بعزْمٍ شامخٍ يسْحق الصَّخْرا
فكان بصدر الجيش تحت عُقابه
فما يقرب الكفار من جيشه الصدرا
وما منْهُمُ إلا صريعُ هزيمةٍ
وناج رعيشُ القلْبِ يجتنبُ الأسْرا
هو الأسْوَةُ الشماءُ أنْعم بأسوةٍ
هى البلسمُ الشافى ، وأنعِم به طُهْرا
هو القدوةُ العظمى لأصحابه الألَى
مضَوْا ينصرونَ الدين والأنجم الزُّهْرا
مشاعلَ حَقٍّ قدْ أضاءتْ بها الدُّنَى
وحرَّقت الطُّغْيانَ والذُلَّ والكفْرا

ألمْ تر « سعدا » و« المثنَى » و« خالدا »

و« حمزةَ » و« المقدادَ » والفتية الغُرَّا

لهُمْ رايةٌ صِيغَتْ من المجد والتُّقى

وما نُسِجَتْ قزًّا ، وما صُبِغَتْ تِبْرا

مضَوْا يَمْخُرون الصخْر والبحْر والمدى

فأصبح ما قد كان عُسْرًا بهم يُسْرَا

ونصرهُمُ حقٌّ على الله فى الوغى

ولمْ يعرفُوا إلا لربِّهِمُ ... فَرًّا

فدكُّوا حصون البغي والظلم والهوى

وصاغُوا كتابَ العدْلِ سطرا تلا سطرَا

فما عادَ فوقَ الأرضِ للروم رايةٌ

وما عادَ للفرسِ الجبابر من ذِكْرى

وما عادَ فيا قيصرٌ ربُّهُ الهوى

ولا رُسْتُمُ الجبارُ فيها ولا كِسْرى

* * *

وفي عالم اليوم الكئيب مبادئ

كمثل ضواري الغابِ ، بلْ إنَّها أضْرى

تُخَرِّبُ فى الأرواحِ كلَّ نبيلةٍ
وتزرعُ فيها الإفْك والإثْم والشرَّا
وتزْعمُ أنا لو رجعْنا لشرْعنا
لكنَّا لظلْماتِ التخلُّفِ كالأسْرى
فيا عجبًا للإفكِ إذْ ينسِجُونه
خيوط ضلالٍ تورثُ الجهلَ والكُفْرا
وتُخْمِدُ نورَ القلبِ والطهرِ والنُّهى
وتجْعَلُ خصْب الأرضِ من سمِّها قفْرا

* * *

فمنْ ذا الذي ساقَ الهداية للدنى
وأخرجها للنور من ظُلمةٍ حرَّى ؟
ومنْ ذا الذى رَاعَى العدالةَ مَنهْجا
وروحَ الإخاء الحق والسلْمَ والخيرا ؟
ومن ذا الذي قد علّم الغربَ بعْدما
قضى في ظلام الجهل من ضيْعة دهْرا؟
هُمُ – يا بنيَّ – المسلمون ، وقد سعوا
يجيبون داعي الله « بِاقْرأ » فيا بُشرى
فسلْ عنهُمُ الكمياء والطبَّ ولْتسلْ
عُلوم الأراضي والحسابات والجَبْرا

فلما تراخَيْنا ونمنْا تسلَّلوا

ولصُّوا معالينا، وباهوا بها الغْيرا

وما العلم إلا علمنا ، غيَّروا اسمه

ولكننا نمْنا ، وقد واصلوا السَّيْرا

فلما صحوْنا من كرًى طال ليْلُهُ

تكشَّفَ أن اللصَّ قدْ غادر القصْرا

يردُّ علينا من بضاعتنا التي

تنهَّبَها ليلاً ، فنُزْجي لهُ الشكْرا

ولكنَهُ أبْقَى لهُ من لُبابها

جواهرها العُظْمى ، وأبْقى لنا القِشرا

* * *

بنيَّ وفي الحفل الكريم لِقاؤنا

ذكرتُك فلْتخلِصْ وفاءك للذكرى

فبعد سنينٍ خمْسةٍ قدْ قضيتَها

عقدنا بك الآمال والنظرة البِكرا

بأنْ تبعثَ الآباء بالعلمِ والتقى

وبالفكرِ والإبداع تُدْني لنا الفجْرا

لكي نستعيد المجْدَ : مجدَ جدودنا

ونبْني على القرآنِ دولتنا الكُبْرى

* * *

من طالب متخرج إلى والديه فى حفل التخرج :

لحـــن الوفـــــاء (*)

وأَرَى الليلَ مُشْرقَ البَسَمَات   دافقَ النور عاطرَ النَّسَمات

فيه روحُ الشروقِ والمجْد والآ   مال والحب والرضَا والحياة

إِنهُ العيد .. عيدَ جامعة الفَهْـ   ـد .. ربيع لعلوم والمكْرمات

درة الجامعات فِي العلْمِ والتخْـ   ـطيط والسَّبْق فى خُطَى التقْنيات

إِنهُ الحفْلُ ضمَّ رهطًا كريمًا   منْ رجَال أَتَوْا ومنْ أُمَّهات

أَلْفَ بدْرٍ أنارت الأفْقَ والوجْـ   ـدَانَ والأحاسيس والشُّرفات

وازْدَهَتْ شرفَةٌ بضيف أميرٍ   ومدير وصفْوَة منْ سَرَاة

وأرَى الأرْضَ تَزْدَهي بشَبابٍ   فى ثياب مُذَهَّبَات الشيَات

يرفعونَ الأعَلامَ ، فاليومُ نصرٌ   بعد أن جَنَوْا طيِّبَ الثَمرات

* * *

أيها السائرون في موكب العْلـ   ـم سلامًا معطَرَ الوَجَنَات

باركَ اللّهُ فى خُطَاكُم ، وَدمْتُمْ   للمَعالي كالأنجم النَيِّرات

اسْمعُوا الزغاريدَ من أمَّهات   تُسْكرُ الليلَ بالمنَى العَطِرات

زغْردي ، واسعدي فإن الأماني   أصْبَحَتْ واقعا جميلَ السِّمَات

كنْت - أماهُ - نبع حبٍّ فعشنْا   نَتَفَيَّا ظلالَهُ الوارفات

كيفَ أنْسَى وأنْت طولَ الليالى   فى سهاد وحيرة وشَتَات

إنْ غشاني شيْء مَن الهمِّ والسُّهْـ   ـد ، ومسٌّ من تافه الوَعكات ؟

لستُ أنْسَى-والشوقُ شلالُ حزنٍ   فى مآقيك - أدمعاً ذارفات

في عناق عند الوداع إذَا ما   حلَ وقتُ الفراقِ والدعَوات :

(*) أخبار الجامعة ● العدد ٢٢٣ ● ١٦ صفر ١٤١٧ هـ (العدد السنوى - جامعة الملك فهد بالظهران) .

« لا تُطلْ - يا بُنيَّ - حبْلَ انقطاعٍ ... واحْضُرَنْ كيْ نَراكَ فى العُطُلات
أوْ فَصَلْنَا بهاتف أو بريد ... فالبعاد الطويل أضني حياتي
إنَّ يومًا تَغيبُ فيه لَيَوْمٌ ... كشهور تمتد .. بلْ سَنَوَات
يعرف الشوقَ من يكابدُ شوقًا ... ساعرَ الجمْرِ ، حارقَ اللّذَعات
وافترقْنا ، وأنت للهمِّ نهْبٌ ... وأنا للعـــــلوم والتقْنيات
كلَّما خارت العزيمة مني ... حَثَّني منْك طاهرُ الدَعَوات
فارودُ الدروس درسًا فدرسًا ... وكأني فى خَاشعِ الصَّلَوات

* * *

يا أبي البَرَّ إنني حين أخْطو ... بطمــــــوحٍ وعزة وثبات
لستُ أنْسَى كلْمَاتك النيرات ... فى وَصَاةٍ تُعدُّ خيـــر وَصَاة
ملْءَ قلبي جَعلتُهَا وعيوني ... ودليلي وشمسَ درب حياتي
« غايةُ العمر أن تعيش شريفًا ... طاهرَ النفس ، رائـــعَ الوَثَبَات
فلْتكنْ - يا بنى - كالطوْد عزًا ... وثَباتًا فى حكـــــمة وأنَاةَ
قمةً فلْتكن ، ولاتَكُ سَفْحًا ... فسفوحُ الجبال للحشرات
وعَلى جبهة الجبال تموتُ الـ ... ـرِّيحُ ،والسُّحْبُ والسيولُ العواتي
ثم تَبْقى أعاليَ الطود شُما ... لا تُبالي بصولة العاصفات
واعبد اللّهَ فى المعامل دوْمًا ... وخُذ العلم من رجال ثقاتَ
إنَّما يخشَى اللهَ - بالحقِّ - ذُو علْـ ... ـم مَكين يقُودُ للصالحاتَ
لا تكُن معْولاً لهدْم حياة ... ولْتَكُنْ ساعداً لغرْس نَبَات
زَرَعَ السَابقونَ حتّى أكلْنا ... فازرْع اليَومَ للذى هو آتي
ما أحيْلَى الإيثارَ والحبُّ صفْواً ... والتآخي فى قمة الطيبات !!
تَعسَتْ أمةٌ إذا ماتهَاوتْ ... فى حَفيرٍ من فَاحشِ المنكرات
لا تَرومُ الأخلاقَ إلا قُشورا ... لا سلوكًا وحكمةً من هُداة
إنَّها أُمَّةُ الزوال ستفْنَى ... وبَنُوها فى الوجود كالموميات
رُبَّ راقد فى التراب سيبْقَى ... خالدَ الذكر ، فائقَ النَبَضَات
في قَلوب الورى دماءً وفكرا ... وضياءً يَنيرُ دربَ السُّراة

بينما مَاتَ - وهْوَ حيٌّ - شقيٌّ   فاسدُ الرأى ، خائرُ العَزَمَات
فلتكنْ - يا بنيَّ - حيا حياة   تبعثُ الرُّوحَ فى خُمودِ المَمَات »

* * *

ها أنا - يا أبى - أسيرُ سعيداً   رافعَ الرأس ، مُشْرِقَ القَسَمات
وأرَى وَجْهَك الكريمَ وأمي   فى سعودٍ معطَّرِ النَّبراتَ
تغْمران المكان حبًا وفرْحا   فى احتفالٍ يَفيضُ بالنَّشَوات
انْظُرَاني ، فَقد جَنيتُ الأماني   واقعًا مثمرا بهي السِّمات
وأنا الغَصْنُ ، إن أتيتُ ثمارا   دانياتٍ من أكرم الثمرات
فسيبقى الفضلُ الأصيلُ دواما   لأصيلٍ منْ أنبل الشَّجراتَ
لأبٍ فاضلٍ ، وأُمٍّ رءومٍ   ربَّياني عَلَى كريمِ الصِّفاتِ

* * *

بمناسبة حفل التخرج

أيها السـائرون في موكب العلـم (*)

أيها السائرون في موكب العلْـ ـم عليكم مهابةٌ ووقارُ
بوجوه قد كساها ابتهاجٌ وقلوبٍ بنبضها استبشارُ
ووشاحِ التخرج الأسود الأصـ ـفر من عنبرٍ علاه نضارُ
وكأني بالشمسِ تطلُعُ ليَلاً من سناهَا قد فاضتْ الأنوارُ
هاهم الأهلُ والصحابُ سياجٌ حولكم والآباءُ والأصهارُ
وأراهمْ والبشْرُ ملءُ عيونٍ فاض منها التبجيلُ والإكبار
فهْو عيدُ النجاحِ .. تاجٌ عليكم وثمارٌ جادتْ بها الأشجارُ
قد رفعتم مقامَ جامعة الفهـ ـد وأنتمْ نتاجُها والثِّمارُ
إنه عيدكم يفيضُ لحونا وقَّعتْها القلوب والأبصارُ
غيْر أن القلوبَ أقوى بيانا « لا تقلْ لي سحبانُ أوْ بشارُ »
منطقُ القلب حكمةٌ ويقينٌ لا حروفٌ يديرها السمَّارُ
فلتسيروا يَحدوكم الأملُ البرَّا قُ والنصر والأمورُ الكبار
ليس يهوى الكبارَ إلا الكبارُ ويحب الدنيء منها الصغارُ
خُلِقَ السفحُ للبُغاثِ ويعلُو قممَ الطود نسرُها الجبَّارُ

* * *

(*) أخبار الجامعة ● العدد ٢٣٨ ● ١٩ صفر ١٤١٨ هـ (العددِ السنوى – جامعة الملك فهد بالظهران) .

أيها السائرون فى موكب العلْـ ـمِ عليكم مهابةٌ ووقارُ
احذروا من حضارة صَنَعتْها نزوةُ الشرِّ والهوى والبوارُ
نحن كنا الكبار فى سَاحة العلْـ ـمِ ، وهمْ - من جهالة - أصفار
نحن كنا الكرار فى ساحة الحر ب ، وهم فى ساحاتها الفرّار
كان في سِفْرنا المضيءِ رَجالٌ فى سماء الدُّنى ولا الأقمارُ
كان في سِفرنا بلال وسَعدٌ والمثنَّى وجعفرُ الطيارُ
وصهيبٌ وخالدٌ وخُبيبٌ وعلي والصفوة الأطهار
جوهر الدين عندهم أن يُلاقوا ساعر الموت أو يكون انتصارُ
جوهرُ الدين أن تراق دماءٌ فى سماحَ ولا يموت النهارُ
فإذا ما استبيح للحق عرْضٌ فهىَ النار واللظى الموَّار
يقصم الظالم البغيَّ فتهوي شامخاتُ القلاعِ والأسوارُ
وسجل الأجداد نورٌ وعطرٌ وسجل الأعداء خزىٌ وعارُ
وسجل الأجدادَ علمٌ وثيقٌ وسجل الأعداء جهل بَوارُ
وسلاح الأجداد كان كتابًا مشرقَ السمْت كلُّه أنوارُ
وسلاح الأعداء غدرٌ خسيسٌ أحكمته الأنيابُ والأظفارُ
وادعاء وخدعةٌ ودمار ودساتيرُ صاغَها الجزّارُ
كم لنا فى العلوم فتحٌ مبينٌ تشهد الأرض والفضا والبحار
وعلوم الكمياء والطب تشدو بالذي حققوه فهْوَ منار
فاذكروا البيرونيَّ وابنَ جبير وابن حيان كلُّهم أخْيارُ
واذكروا الزهراويَّ،فى الطب فذ وعلى دربه استناروا وساروا
من يباري ابنَ ماجدٍ في هواهُ وهواهُ البحارُ والإبحارُ

* * *

وشعارُ الأجدادِ حقٌّ وعدلٌ وسلامٌ وحكمةٌ وانتصارُ
وحقوق الإنسانَ دين وفرض لا يمينٌ في عرفهمْ أو يسارُ
بينما في شريعة الغربِ للأقـ ـوى حقوقٌ وللضعيف الدمارُ
فلهم مجلس يسمى بأمنٍ يعتليه اللصوص والتجارُ
وبه سادت شرعةُ الغاب والوحْـ ـش ففاقوا ما قدْ جناه التتارُ
أيها الموكب الجليل سلاما وتحايا تزفُّها الأشعارُ
جمعتنا السنينُ في قاعة الدر س يُظِلُّ الجميعَ حبٌّ جهارُ
ومعانٍ ألذُّ من طيّب الشّهـ ـد ، وفكرٌ يرام منه العمَارُ
ليس بالعلم أن تنال قشورا هالكات جادتْ بها الأغيارُ
ليس بالعلم أن تعيش تبيعا خافضَ الفكر يحتويك انكسارُ
ساقطَ الذات في التصدي أسيراً أثخنتك من غربهمْ أفكارُ
إنما العلمُ أن ترودَ الخفايا فيبوحَ الخفيُّ والأسرارُ
شامخَ العقلِ في البحوث أصيلاً لك فكر محرر نوّار
عاملاً ، بانيًا ، قويًا أمينا قد حداك الإيمانُ والإصرار
لا تقاس الأعمارُ بالطول لكنْ بالذى عُمِّرتْ به الأعمارُ
فامضِ بالحق – يا رعاك إلهي – وتقدمْ حتى يتم المسار

* * *

من الشعر الضاحك

أبـــانا الجــــزّر الملك ! (*)

أبانا الذى فى محل الجزارةْ عليك سمات العُلا والإمارة
لك المجدُ والفخر والعز شارة فهذ محل وهذي عمارة
وهذى « بيجوه »تلبها « سمارة » و« خنزيرةٌ »في بريق المنارة [1]
وغير الأراضي بحيٍّ .. وحارة بكفيك كلُّ نواصي التجارة

* * *

لك المجد حيث تضم « الزرائبْ » خرافا .. عجولا سمانا كواعبْ
تُدر المكاسبَ تتلو المكاسبْ لتصبح بعد قليل « أرانب » [2]
وتمطر مثلَ حبالى السحائبْ فوا عجبا يا « فريد المواهبْ »

* * *

وأذكرُ يوما هزيل الضياءْ قصدتُك فيه وجيبي خُوَاءْ
على أمل فى الحنايا أضاء يُداعب نفسي وكلي حياء
إذا ما استحال عليّ الشراء فحق لعيني تملي « الظباء »
معلقة كالورود الوِضاءْ وأن أتخيل طعم الشواء

* * *

ويظهر أني أطلت النظر فسال لُعابي كمثل المطر
وأنسيتُ نفسي أمام « الهُبَرْ » وفحل من الضأن يحكي القمر

(*) نشرت فى « الوفد » يوم لخميس ٦ من ذى الحجة ١٤١٠ - ٢٨ من يونيو ١٩٩٠ .

(١) بيجوه - سمارة - خنزيرة : من أسماء السيارات وألقابها .

(٢) الأرانب جمع « أرنب » وهى كلمة يطلقها أبناء البلد فى مصر على مليون الجنيه .

ولم أدرِ أن ورائي خطر وأن صَنيعيَ «إحدى الكُبر»

* * *

أبانا المعلم «عبده النواوي» أمير «النفوس» و«بيت الكلاوي»
ظننتك مثل الطبيب المداوي ستمسح جوعى بشم «العكاوي»(١)
وترفع عنيَ بعض البلاوي ولكن وجدتك نذلا وغاوي

* * *

أشرتَ إليَّ بطرف «السَّطور» وفى مقلتيك تموج الشرور
بفيض من الغضب المستطير فشاهدت حُلمي الشفيف النَّضير
تهاوى جريحا ذليلا كسير فعدت إلى واقعي المستجير

* * *

تفضل وفارق، لكى لا تفارق فشكُلك أنك فى الفقر غارق
و«مستوظف» أنت بؤسك ناطق تود اللحوم، ولكن كعاشق
ومثلك للرزق ماحٍ وماحق توكل وفارق لكى لا تفارق (٢)

* * *

لماذا تهدّدُ يا سيدي وما لمستْكَ بشرّ يدي
ولستُ سوى معجب شاهد لأثني على لحمك الأمرد
بشعر «لذيذ» الرؤى خالدِ سيبقى على الزمن السَّرْمَدي

* * *

فصاح كما العاصف الراعد إذنْ أنت لص ومنْ حُسْدي
ومالي وللشعر يا «ادَّلْعَدي» أعوذ به : الأحد الواحد
من الغاسق الواقب الأسودِ ومستوظفٍ مفلسٍ حاسَد

* * *

(١) النفوس وبيت الكلاوي والعكاوي قطع معروفة فى الذبيحة جيدة النكهة والطعم.

(٢) يقصد الجزار : فارق المكان وإلا فارقت الحياة.

المنْسَفُ الغالي فى البيتِ العالي

مهداة للأخ د . أبى مصعب : مفيد أبى عمشة
بمناسبة وليمة أقامها كان « المنسف » هو الصنف الرئيسي فيها

تقولُ بوجهٍ فاضَ بشْرا وفرحةٍ
إليك عشاءً عنه يعجز واصفُ
ففولٌ وجرجيرٌ وصحنُ بصارةٍ
وطعمِيَةٌ تشْفي العليل وتسْعِفُ
وشُرْبَةُ عدْسٍ من يراها يظنها
مَذُوبَ نضار باسمِها القلبُ يهتفُ
وجبنٌ قَريشٌ غير طرشي وعجَّةٍ
يحيطُ بها أرزٌ سخين ، وأرغُفُ

* * *

فقلتُ ذريني اليوم يا أمَّ ياسرٍ
فأكلُك أعياني ، ومازلتُ أضْعُفُ
وعدْسك والفولُ المدمّسُ راعني
فصرتُ كأني نحو حتفيَ أزحفُ
فحتَّامَ أبقَى رهنَ أكلِ مهمَّشٍ
وفى قيد عدْسٍ أو بصارةٍ أرْسفُ؟
ذريني أسعى للوليمة إنهٌ
«أبو مصعب » الفذُّ المفيدُ المعرَّفُ

أأستبدلُ الأدنى بما هو خيِّرٌ
ولمْ يُغْنِ عن لحمِ الطناجرِ أرغُفُ
وقد ضربَ اللهُ المذلةَ والخَنَا
على آل إسرائيلَ حين تخلَّفوا
بعدسٍ وفولٍ بعدَ مَنٍّ وسَلْوةٍ
وتيهٍ تولَّى أمرهم وهْو يعْصِفُ
وقد قيل إنَّ اللحم فى الأكل سيدٌ
لكلِ طعامٍ غيرِه عاش يخْسفُ
أيُتْركُ هذا السيدُ الفذُّ جَهْلَةً
ونُهْرَع نحو الفولِ دوْما ونوجف
يمينًا بأنَّا لو فعلنا لأصبحتْ
لنا سمعةٌ فى القوم تُزْرى وتكسفُ

* * *

فلما دعاني للوليمةِ صاحبي
أبو مصعبِ الغالي المفيدُ المعرَّفُ
همستُ « رعاك الله ذرْني مخافةً
يكونُ طعَامٌ مثلُ ما أنا عارف
طعامُ الرجالِ الزاهدين تطلعا
إلى متعِ الأخرى التى ليس توصف»
فقال « معاذَ اللهِ صبرا فإنني
عرفتك سمْحا مثلما كان أحنف

طعامي إذا ما قيس يوما بغيره
لكان كما قدْ قيس فى الحسْن يوسف
أقدِّم صنْفا لم تذقْ قطُّ مثلَه
هو البلسم الشافي من الجوع «مَنْسَفُ»
فقلت حمانا الله فالنسفُ قاتلٌ
يدمر ما يلقاه قهرا .. ويجرِفُ
و « مقلوبةٌ » حينا ، وحينا «مسَّخنٌ»
يُضم إليها فى طعامك مَنْسفُ (١)
من القلب والتسخين والنسف أصلُها
فهل أنت للأمْن الموثَّقِ ناسفُ ؟
طبيعةُ إرهاب سَرَت لطعامكم
فعانَقَت الأسماءَ وهْى تخوِّفُ
فقال : دع الهزلَ المنمَّقَ واستمع
فإني أراك اليوَم تهذي .. تخرِّفُ

* * *

فقلت اعذرَني إننى اللحَم عاشقٌ
وأعرفُ منه كيف تُؤكل أكْتُفُ
خبيرٌ بلحم الضأنِ دونَ منازعٍ
بذا « قرّ » أصحابٌ لنا .. ومعارف

---

(١) المنسف والمقلوبة والمسخن ألوان من الأكلات المشهورة فى فلسطين .

ومَنْ لم يصدقْ فليقدمْ ذبيحةً
لأشرحَ أجزاءً لها ليس يَعْرِفُ
فذا (بيتُ لوح) ،ذي (نفوسٌ) رخيَّةٌ
و(بيتُ كلاوي) ثم (قَصٌ) يشَارِف

* * *

أبا مصعب ما (منْسفٌ) أنت ذاكرٌ
فهلا وصفت الصنفَ ، إياك تسرف
أقول : فصفه إن وصفك ممتع
ودمتَ مفيدا مثلما كنتُ أعرف
وأنتَ وسيطي فى الزواج فكنْ لنا
صدوقا بوصفِ الصنف والصدقُ مُنْصفُ[1]
فقال : إليك الوصف فهو كما ترى
رقاقٌ وأرز فوقه اللحم أسقُفُ
ثلاثٌ من الطبقات فى السبْكِ واحدٌ
ومن سحرها تَهوي عيونٌ وآنُفُ
ترى « الإقْط » روَّاها لذيذا ملاطفا
فصارتْ هى السحرُ الحلالُ وألطفُ
فتُنْسي وقورَ القوم كلٌّ وقاره
ويصبحُ كالطاحونِ يفْري ويقصْف

---

(١) كان أبو مصعب يعرض عليّ – من باب التوسعة الحلال – أن أتزوج بثانية حددها ، وتسلينا كثيرا بحديثه الممتع كوسيط زواج ٠

ترى كفَّه فى سرعةِ الضوء لاتَني
صُعودا هبوطا وهْي للحمِ تخطف
فقلت « لحاكَ الله » أنت قصدتني
بوصفك هذا بيْدَ أنك مُنصف
وأيُّ وقارٍ نافع أو رزانةٌ
إذا ما شهدنا المنسف الفذَّ يهتف

* * *

أبا مصعب ذكَّرتنا فعل حاتمٍ
وفعلك عن أصلٍ أصيلٍ مكاشفُ
كريمٌ عفيفٌ هادئُ الطبع عالمٌ
ويحفظ ماء الوجه ، والمالَ يُتلفُ
هواه مع القدسِ الشريف متيَّمٌ
وبالمسجدِ الأقصى حِفيٌّ ومدنَفُ
فقيهٌ يرى الفقهَ الحقيقى مسلكا
ومنهج عيشٍ فى الدُّنى لا يحرَّفُ
وأن نظامَ الله دين ودولةٌ
وعلمٌ ومنهاجٌ وسيفٌ ومصحفُ

* * *

أكلنا ويبقى الودُّ خيرَ مجمّعٍ
يؤلفُ منا خيرَ عقدٍ .. يُؤَلَّف

وبالحب يبقى الجمعُ كلا كواحدٍ
أخوةُ دينٍ صَادقٍ لا تحرَّفَ
وتبقى قلوبُ الصحب بالصدق والتُّقى
على وترِ الحب المخلَّدِ تعزف
فعنا جزاك الله خير جزائه
أبا مصعبٍ فالفعلُ للأصل كاشفُ

* * *

الظهران

١٤ مايو ١٩٩٧

فصـــل من اعترافات مجلود الضمير
وحشي الحبشي
(قاتِل حمزة)

ورأيتُهُ امتشق الحسامْ
فكأنما استل السعير
من الظلامْ
خلوا الطريق لحمزةٍ
فيمينهُ
تسقي أعاديه الحِمامْ
– يا حمزة الحربِ اتئدْ
(لا يتئدْ ..)
وقريشُ فى فرٍّ .. وفَرْ
ولَحَمزةُ العملاقُ
في كر .. وكرْ
مترجلا يُردى الفوارسَ
في ثباتْ ..
ورأيتُ بعضَهُمُ ...
من الفزع الرهيب هوى
.. وماتْ

* * *

وأنا بعاري خلفَ صخرهْ
متسترا ..
متلمسا ...
من حمزةِ الحملاتِ غِرَّهْ
متسربلا بالجبن
مخلوعَ الفؤادْ ...
أنَّى لمثْلي ...
أو ألوف .. مثل مثْلي
أن تواجهَ ذلك العصْفَ الرهيبْ ؟
لكنّما بالغدر
ينتصرُ الجبانُ ولو لحينْ ..
يأيها الحبشيُّ .. يا وحشيُّ
هذا اليومُ يومُكْ
فبطعنةٍ نجلاءَ ..
من وكري الخفيٍّ ..
أفكُّ عن عنقي الذليلِ
قيودَ رِقي
وأعيش حرا ...
لا أُباعُ .. كما المتاعْ
اليومُ .. يومُك يا لئيمْ
اليوم .. يومك يا زنيمْ

* * *

قبَّلتُ رُمحي
وهززتُهُ حتى استقامْ
ورضيتُ عنه
ونفثتُ فيه ...
حقارتي .. ودَعارتي
وبقدر ما حُمِّلْتُ
من أرَق السنين الهالكهْ
وبكل ما عُذِّبْتُ ..
فى محَنِ الليالي الحالكَهْ
أرسلتُ رمحي النذْلَ
منهومَ السنانْ
أرسلتُه من مخبئي في صخرتي
فاندكّ فى أحشائه
يستلُّ منه الروحَ
في صمتٍ رهيبْ
ما قال شيئًا
يا ليتَهُ قد قال شيئًا ..
أيَّ شيء
« قل أي شيء ..
يا سيدى قلْ أيَّ شيء »
لكنه ألقى إليَّ بنظرةٍ
بصَقتْ عليّ

وقرأتُ فيها
ثورةَ البطل التريْب
« لِمَ لَمْ تواجهني
بسيف أو برمحٍ
يا جبانْ ؟؟
أَوَ لسْتَ تملُك
مسحةً منْ أرْيحيَّةْ ؟
أَوَ ليْسَ فيكَ رجولةٌ
في حدِّها الأدنى الضئيل
حتى تلاقي فارسا أو راجلا
وجها لوجه ؟

* * *

ويسودُ صمتٌ ..
شاحبُ الوجنات دامٍ
وتعلقتْ عيناي بالبطل المجندلْ
فرأيتُهُ ...
متشبثا بالسيف فى يمناه
لم يتخلَّ عنه ...
في نزْعه الموْتي لم يتخلَّ عنه
فكأنما وُلدا معا ...
ورأيتُهُ ..
وبكفِّه اليُسْرى يحاولُ نزع رمحي

من حشاهْ
كيما يقاتل من جديْد
لكن سِنَّ الرمح كان بعمقِ بطنهْ
يمتصُّ منه نخاعهُ
ودمَ الترائب والكبد .
يا لعنة الشيطان ...
حمزةُ لم يمتْ ..
ما زال ينبضُ بالحياهْ
يا لعنة الشيطان ...
حمزةُ ... هل يقومْ
ليواصلَ الهجمات في حسْمٍ مدمِّرْ ؟
يا حمزةَ الحملات مُتْ
مُتْ لا تقمْ
إني جبان
مت لا تقمْ حتى أعيشْ
لا « هندُ » تدفعُ
سيفَك المغوار عني
أو ألوفٌ مثلُ هنْدْ
ولا « جبيرٌ » يدفعُ الهجمات عنى
أو ألوفٌ من « جُبير »

* * *

ويلاه من نظراته ..

نظراتُهُ . . .
شلَّتْ بقلبي كلَّ نبضَهْ
نظراتُهُ سدَّتْ أمامي
كلَّ وجهٍ للهربْ
أنا لا أفيقْ
أين الطريقْ ؟
الشمسُ تشرقُ من هنا ؟
لا مِنْ هناكْ
أنا لا أرى شمسا
ولا ليلا
ولا نجما
ولا قمرا
ولا جبلا
ولا أجد الطريقْ
أنا ها هنا
أم ها هناكْ ؟
ما عدتُ أعرفُ ما هنا
ما عدتُ أدري ما هناك
أنا لستُ شيئا ها هنا
أنا لستُ شيئًا ها هناك

إني ضياعْ
إني عَدَمْ
إني هلاكْ

* * *

يا سيدي ...
يا ابن الأكابر ...
يا « ابن مُطعمْ »
قد قدتني لجهنم ...
يا ابنَ الأكابر..
يا جبيرٌ يا ابن مُطعمْ ..
أعطيتني حريتي ؟؟!
هِهْ ...
« يأيها الحبشيُّ ...
يا وحشيُّ ...
أنت اليومَ حر .. »
سحقا لها حريةً
حققتُها غدرًا بدمْ
أنا لم أنلْ حريتي
ما زلتُ أرسف في العبودهْ
في ليلها اللزج الوَبيءْ

أيانَّ أذهبُ أو أجيء

* * *

يا سيدي . . .
يا ابنَ الأكابر يا جُبير
أرأيت هند ؟!!
هندٌ هنا . . .
هندٌ هناكْ
ليستْ هنا . .
ليست هناكْ
قد كانَ آخرُ ما رأيتُ بكفِّها
سكينَها الرعناءَ . . .
تومضُ مثل عينيْ أرْقم
تهوي بها فى بطنِ حمزه
فتعانقُ السكينةُ الحَمقاءُ
سنَّ الرمح فى أعماق بطنِهْ
وتلوك هندٌ كبْدَهُ
ويسيلُ من فمَها فتاتٌ من كَبِدْ
قد خالطتْهُ خيوطُ دمْ
« يا هندُ أنت من الحرائرِ
من بيوتاتِ الشرفْ
ما كنتِ مثلي خِسّةً
ودناءةً . .

وضياع أصْل »
لكنَّ هنداً أنعمتْ
برَّتْ بوعدٍ لم تخنْهُ
« يأيها الحبشيُّ . . يا وحشي
يا أسداً هصور
هذي دنانيرٌ مائةْ
صيغتْ من الذهبِ الخلاصْ
اقتلْهُ تُجْزَ بها . .
فأنتَ بها جديرْ . . »
وجبيرُ قال ليَ « انطلقْ
- فلقد وفيتَ بما وعدت -
حرّاً . . ككل السادة الأمجادِ
فى أرضِ العربْ »

* * *

حرٌّ أنا من رقٍّ هندٍ
أو جبيرٍ
أو قريشْ ؟
لأغوصَ . . .
في أسرِ الدم الزاكي النقي
وأعيشَ عبدَ الإثم
يلعنني النبيْ ؟
من ذا طعنتُ ؟

محمداً أم حمزةً
يا ويل أمي .. ؟!
قد كان حمزةُ من رسول الله
– يا ويلاه – أمًّا أو أبا
قد كان حمزةُ
حصنهُ العالي القوي
قد كان حاميه الوفيْ

* * *

حرٌّ أنا من رقِّ هندٍ
وابن مُطعِم ..
أو قريش ؟
والذكرياتُ الساعراتْ
يأتينَ فى حلك الليالى المسهدات
يطرقْن بابي صارخات
« قُمْ لا تنم ..
قسما بأنك لن تنام »
الذكريات الساعرات !!
يطرقْنَ بابي ؟
بابي أنا ؟!
أأقولُ بابي ؟؟
هل لعبد غادر بابٌ ليُطْرق ؟
هل لمن قتلَ الكرامَ بغدرِهِ

بابُ يقيهْ ؟
لكنّ هذي الذكريات الساعرات
يهجْنَ في حَلك الليالى
ينهشْنَ قلبي فى ضراوَهْ
يجلدْنَ ظهرى فى قساوهْ
« لا تنمْ
أنا دمٌ حمزةَ
لا تنمْ
وذق الألمْ
أنا صوتُ حمزة أيها العبدُ الزنيمْ
أنا سيفُ حمزة لم يُشَمْ
يأيها الوحشيُّ . . .
لن يجديك في يوم ندمْ »

* * *

يا هند يا بنتَ الأكابرِ والكرامْ
أنا لا أنامْ
يا ليتني . .
قد عشتُ عبدا يا ابنَ مطعمِ
في مَعيتكَ الحرامْ
أرمي السهام الرائشات
على الطيور الغاديات الرائحات
وأسدد الرمح العقورَ

على غزالٍ شاردِ
وأعود بالصيد السمين
إليك فى ساع الغروب
لأطهوَ اللحم الدسمْ
لكَ والضيوف
وبعدها يقعون فى سكر معربِدْ
يتغزلون بقدرة العُزَّي
ولات أو مناةٍ أو هُبَلْ
وتهيمُ كفي في البقايا
من فتاتٍ أو عظامْ
فإذا عثرتُ بعظمةٍ
فيها بقايا من دسَمْ
أمتصُّها من جوعيَ المسعورِ
مجنونَ النَّهمْ
وأصب فى فميَ المُعنَّى
ما تبقّى
من ثُمالات الكئوسْ
ولسانيَ المنهومُ
يلعقها ككلبٍ ظامىءٍ
وأروح في نومٍ عميقٍ بعدها

عند الجدارْ

* * *

قد كنتُ يا هندٌ أنامْ
مستشعرا طعم السلامْ
واليومَ عزَّ علي
– يا هندُ – المنامْ
وأعيشُ مسلوبَ السعادة
والسلامْ
في ليْليَ المصلوب
أشهدُ سيفَ حمزة
في صباحي والظهيرة والأصيلْ
ينتابني الفزعُ الوبيلْ
فترددُ الوديانُ والآفاقُ
حمزة
حمزة
حمزة
وأفرّ مخلوعَ الفؤادْ
وأظلُّ أعدُو
فيكادُ يقتلني الظمَأْ
فأمدُّ كفي كي أعبَّ الماءَ
من بئربعيدهْ
فإذا بماء البئرِ يصرخ هادراً :

« لا تشربَنْ
فأنا مصيرُكَ
أيها العبدُ العفنْ
أنا صوتُ جرحٍ نازفٍ
بدماءِ حمزة »

*   *   *

وأعودُ أعدُو من جديدْ
ويكاد يقتلني اللُّهاث
فلأسترحْ
ولأمسح العرق الصبيبَ براحتي
فأراهُ أحمرَ قانيا
وكأنَّهُ من دمٍّ حمزة
فأواصلُ العَدْوَ المثقَّلَ بالفزعْ
لكنْ إلى أينَ المفرُّ ؟
ولا مفرْ
رحماك ربي
لا مفرْ
لا مستقرْ
لا مستفرْ

*   *   *

أسلمتُ حقا

وشهدتُ أن الله واحدْ
وشهدتُ
أن رسولَهُ الهادي الأمينَ
ختامُ كلِّ الأنبياءْ
ومثلْتُ بينَ يديْ رسول الله
أعلنُ توبتي ...
أقْعيْتُ
بين يديه في ذلٍّ ذليلْ
« يا سيدي .. أسلمتُ
أشهد أن رب الخلق واحدْ
وبأنك الهادي الأمينْ
وختام كلِّ المرسلين .. »
– « هل أنت ...
قاتل سيد الشهداء حمزةْ ؟ »
ورأيتُ في عينيه دمعَهْ
وشعرتُ بالزلزال
في جوف البسيطة يضْطرمْ
فهتفت مصروعا مُعَنّى
« يا رسولَ الله عفوا ... »
– « اغرب – أيا وحشيُّ –
عن عيني .. لا ترني
ولست أريد في يوم أراكْ »

- « سيدي . . .
ما قيمتي إن ملْتَ عني ؟
ما قيمتي إن لم أرَكْ ؟
وجهي إذنْ . . .
حمالُ آثامٍ
وأوزارٍ وعارْ
سيظل حتى الموت
رمزاً للخيانة والبوارْ
فأنا الأثيمُ ابنُ الأثيمْ
وأنا الزنيمُ ابن الزنيمْ
سأعيشُ في أسرِ الخطيئةِ
لا فرارْ
وأظل في دنيا الظلامِ
بلا قرارْ .

* * *

الهِجْرَةُ إلى الجُبِّ

مسرحية شعرية من فصل واحد

[المنظر : ميدان واسع تمتد منه شوارع جانبية وفي صدر الميدان مبنى ضخم مكتوب عليه بخط كبير على لافته سوداء (مصلحة الهجرة) ، تظهر للمشاهدين الحجرة الرئيسية من المبنى فى شكل مكتب ضخم ، والحيطان غاصة بأرفف الملفات ، والضابط المسئول واقف يرتب فى عصبية بعض الأوراق ، وهو يرتدى بنطلونه الأصفر وقميصا أزرق بكم كامل ، أما الجاكت الأصفر الرسمي فمعلق على المشجب ، وشرطي النظام واقف فى انتظار الأوامر - والمواطنون بملابس مختلفة يسيرون هنا وهناك ، وكذلك ثلاثة من رجال الشرطة ، وهم يمرون فى تباطؤ ، ودون انتظام فى الشارع الفرعى فى أقصى اليسار ، ،]

الضابط (لشرطي النظام) : افتحْ أذنيكَ وعينيكْ ،
واحرص كل الحرصِ على أن يلزمَ كلٌّ دورَهْ
وافتح عينيك لما قد يحمل بعضُ الناسْ
ممن يقفون هنا فى الصف ، ، من يدرى ؟
قد يحمل أحدٌ قنبلة في يده أو في دوسيه الأوراقْ ،
أو حتى في داخل « سندوتش الفولْ »

الشرطى : حاضر يا فندم ،

[يمر رجل فى سن الشيخوخة ، ضعيف النظر يبـدو عليه

السذاجة ، ويلبس جلبابا بلديا مخططا وطاقية ، وفي يده جرنال قديم • يقف أمام مكتب الضابط - الذى لم يكن قد ارتدى الجاكت الأصـــفر الرسمى • ويهم بفرد الجرنال، ويتجه إلى الضابط بحديثه]

الرجل : قل لي يا ولدي : هل أخرجتم أولَ دُفعةْ ؟

الضابط : دفعةْ ؟! أخرجنا دفعاتٍ لا تُحصى .

لكنْ بشروط معروفةْ .

الرجل : دفعات لا تحصى ؟!

الساعة يا ولدى الثامنة صباحا

فمتى كانتْ أولُ عجْنةْ ؟

الضابط : عجْنةْ ؟ أية عجْنةْ ؟

ما هذا التخريفُ الأبْلهُ . . . يا أبْلهْ ؟!

[يعيد النظر والتقليب - وهو مازال واقفا - فى أوراقه وهو يتمتم فى ضيق :]

هَهْ . . . عجنهْ . . وعجينٌ . . ودقيقٌ أسمرُ

أو فاخرْ . . لبْخٌ . . لبخٌ . . لا يمكن أن ينتهي .

الرجل : يا لله . . فلأحتل مكاني منذُ اللحظهْ

فأنا أولُ من في الصف .

وسآخذُ خبزي من أول لوح يخرجُ من نارِ الفرن

الضابط (يترك أوراقه وينظر إلى الرجل فى غضب)

ماذا تبغى يا محترمُ ؟!

الرجل : [وقد ظهرت البشاشة على وجهه وهو يفرد جرناله

أمام الضابط فوق مكتبه ، ويقدم إليه جنيها ، ويقول بصوت خفيض]
عشرين رغيفا .. عشرين ..
للسكان .. شوشو هانمْ،ست تفيدةْ. ،أحمد أفندي
.. حسين الرايش ..
وأنا أيضًا أحتاجُ ثلاثةْ ...
واعذرني يا ابني .. فأنا البوابُ المغلوبْ على أمرِه .

الضابط : يا سيدنا .. يا بوابْ
ليست هذي طابونه
ليس هنا خبزٌ أو فرنٌ
أو فرّانٌ ... أو عجّانٌ .. أو خبّازْ ..
هذا المبنى .. مبنى رسمي
هذا المكتب ... تبعُ الدولة
واسم المكتب .. مصلحةُ الهجرة
مفهوم .. يا شيخ البوابين ؟!

الرجل : لكنك منذ قليل قلت :
أخْرجْنا عدةَ دفعات !! .

الضابط (فى ضيق شديد) ..
يا أبْلَهْ ..
دفعات أناسٍ للهجرة .. طلبوا الهجرة
لا دفعاتٍ من ألواحٍ تحملُ خُبْزا ...
مفهوم !!؟

الرجل : لا .. وحياتك

الضابط : أوه . . افتح مخَّكَ . . حاولُ تفهم
هذا الديوانُ العالي يدعى « مصلحة الهجرةْ »
الرجل : ما معنى هذا ؟
مصلحة تُصلح بين الزوجينْ
بالأمسِ سمعتُ الواعظَ فى درسِ المغربِ . .
يشرحُ للناسْ:
من حقٍّ الزوج إذا مالتْ زوجتُهُ وتعصَّتْ
أن « يهجرها » فى المضجع حتى تتأدبْ
هل تأتي المصلحةُ . . مصلحةُ الهجرةِ
كيْ تصلح بين الزوجين
وتجمع بينهما فى المضجع؟
الضابط [بصوت حاد ، فيه سخرية]
ما شاءَ الله . . ما شاء الله !!
ما هذا العلمُ الخارقُ . .
يا سيدَ مصلحة البوابين العُليا ؟؟
مصلحةُ الهجرة . . وافهمني . .
فى عرضكَ . . حاولْ أن تفهمني . .
تمنحُ للراغب فى أن يهجرَ وطنَهْ . . بلدَ النهر . .
تأشيرةَ هجرةْ
هيهْ !! . . خلاص ؟
الرجل : ولماذا يهجُرْ إنسانٌ وطنَهْ ؟؟

الضابط : .. والله .. يعنى .. اسْمَعْ
فلتسألْ فى ذلك من يطلبُ تأشيرةَ هجرةْ
الرجل : لكنى أجهلُ عنوانَهْ ... عنوان
َ الطالبِ للهجرةْ
الضابط [وقد زات عصبيته وحدته ..].
خلاص .. خلاص .. يا عالَمْ ...
خلاص ... اتركني ... فارق .. لا تسألْه ..
الرجل : لكن قد « يزعلُ » إن لم أسألْهُ
قد يفهمُ أني لا أهتمُّ بأمرهْ
الضابط : يا رجل ... يا أبله ... تسأل مَنْ ؟
الرجل : أسألُ من يرغب فى الهجرة عن سببِ الهجرةْ
الضابط : ولماذا تسألُ يا أحمقْ ؟
الرجل : بالله عليك ...
أأنا الأحمقُ حين أنفّذ ما تأمرُ بهْ ؟
أَوَ لسْتَ القائل من لحظاتٍ :
« اسألْ عن ذلك من يبغيِ الهجرة ؟ »
الضابط : يا ألطافَ الله !!
خلاصْ ... اذهبْ واسْأله .
الرجل : لكني لا أعرفُه حتى أسألَهُ
الضابط : خلاص ... خلاص ..
لا تتعبْ نفسَكَ ... لا تسأله .
الرجل : لا أسأل منْ ؟

الضابط : الراغبَ فى الهجرة .

الرجل : من هو ؟ قل لى حتى لا أسألَهُ

الضابط : أنا لا أعرفه حتى تسألَهُ أو لا تسألَهُ .

الرجل : هل أنتَ المسئول عن المصلحة . . .
مصلحة الهجرة ؟

الضابط : أيْ والله .
أنا المسئول عن المصلحة . . . مصلحة الهجرة .

الرجل : إن كان رئيسُ المصلحة لا يعرف أسماء الناسْ .
أعني . . من يرغبُ فى الهجرةْ . .
فهل المرءوس كذلك يجهل تلك الأسماءْ ؟

الضابط : يجهلها أيضا . . . مبسوطْ ؟؟

الرجل . . عالْ . . سوَّى بينكما الجهلُ إذنْ
فلماذ كان هو المرءوس وأنت الريِّس ؟

الضابط : يعلُمُها مبسوْط ؟
مرءوسي يعلمها . يعلمُ كلَّ الأسماءِ . . .
يعلمُها . . . هيه ارْتَحْت ؟؟

الرجل : عالْ . . . فيفوقُك فى العلم إذن !!
فلماذا أنت الريِّسُ وهو المرءوسْ ؟
« العالمُ أولى بالتقديم من الجاهل » .
ذلك ما قال الواعظُ ليلةَ أمس فى المسجدْ .

الضابط : خلاصْ . . هو منذُ اللحظة – يُعتبرُ الريّسْ .

الرجل : فلماذا لا تتركُ هذا المكتبَ له ؟

الضابط [في غضب شديد ، وهو يضرب المكتب بقبضة يده]
لن أتركهُ . . لن أتركَهُ . .
الرجل : لكنْ . . تلك مخالفةٌ للقانون . . .
الضابط : ما شاء الله !! وفقيه دستوريٌّ أيضاً ؟
افهمها كيف تشاء . . .
واجعلْها مني ألفَ مخالفة للقانون
أعلنْ ذاك لكل الناسْ . . .
مبسوط . . .
الرجل : لكنك من لحظاتٍ قدْ . . .
الضابط (مقاطعًا في هياج . . .)
اخرسْ . . اخرس يا بواب الكلب
مَنْ سلَّطك عليَّ اليوم ؟
قل لي . . . واخلصْ
ماذا تبغي . . ماذا تبغي ؟
الرجل : أبغي خبزاً . .
الضابط : لا نصنعُ خبزا .
نأكلهُ . . آه . . لكنْ نصنعُهُ . . . لا
نحنُ هنا في « مصلحة الهجرة » .
لا فرانَ . . . ولا فرنَ . . ولا طابونة يا سيّدْ
الرجل : لا حول ولا قوة إلا بالله . .
فلماذا لا تُكتب لافتةٌ تُظهر أن المبنى
« مصلحة الهجرة »

الضابط : [مشيرا بسبابته إلى أعلى]

يا سيد فلتنظرْ ... افتحْ عينيك إلى أعلى

انظر : لافتة ضخمة : مصلحة الهجرة .

الرجل : لا فائدة من النظر لأعلى أو أسفل

فأنا أمي لا أقرأُ أو أكتب

الضابط : [في لهجة ساخرة هادئة]

ما شاء الله ... ما شاء الله !!

الرجل [وهو يهم بالانصراف] :

لو كنتم حقا عقلاء ...

لوَضَعْتم أعلى المكتب لافتتين ..

واحدةً يقرؤها المتعلمُ ..

والأخرى للأميين ... من أمثالي ...

[ينصرف الرجل ، فيتنفس الضابط الصعداء ، ويرتدي « الجاكت » الرسمي الأصفر ذا النجوم النحاسية على كتفيه ، ويجلس إلى مكتبه ، وقد وقف أمامه قرابة ستة أشخاص من طلاب الهجرة ، وأولهم كهل في الأربعين من عمره مشرق الوجه ، وسيم الهيئة ، ذو لحية خفيفة شديدة السواد ، ويرتدي ثيابا تشبه إلى حد بعيد الثياب العربية ... ويوجه كلامه للضابط ..]

من فضلك خذ كل بياناتي ..

أبغي تصريحا بالهجرة .

الضابط (يفتح أمامه دفترا ضخما ويمسك بقلمه استعدادا لكتابة البيانات) .

اسمُك بالكامل ؟

الرجل : الطيب غالب

الضابط : والشهرة ؟ لقب الشهرة ؟

الطيب : محبوبُ الناسْ .

[الضابط يقف منتفضا ..وعلى وجهه ابتسامة ومظهر اهتمام ويمد يده مصافحا الطيب ثم يجلس في هدوء ..]

معذرةً .. مثلُك كالبدر الساطع لا يَخْفَى

لكنَّ همومَ الأعمال تُنسي صاحبَها أحيانا

فالطيبُ غالب محبوب الناس بحق

علمًا .. أدبا .. وعراقةَ أصْل ..

... لكنْ عجبا !!

الطيبُ يهجرُ أرضَ النهر ... لماذا ؟

ما كنت أفكرُ أبدا أن يهجرها الطيِّب ..

الطيب : لا يدفعني للهجرة إلا أني الطيب ... الطيب غالب

الضابط : مازلت أقولُ :

ولماذا تهجر أرضا ...

كانت لك أمًّا ... واحتضنتْك ؟

الطيب ... كانت ...

لكن ما عادت أمًّا تحتضنُ.

الضابط : هل فقدتْ أرضُ النهرِ أمومَتَها ؟

الطيب : ما فقدتْ أرضُ النهر أمومتَها مختارةْ

بل سُلبت روحَ أمومتها

ومشاعرها ..

الضابط : يا طيبُ غالب

تلك مشاعرُ جُوَّانية

أعني : إحساسا ذاتيا

لا يتعدى فى أعماقكَ منطقةَ الوهم

الطيب : بل هذا إحساسُ الناس جميعا

صوت الواقع فى هذي الأرض المقهورة

الضابط : صوت الواقع ؟ لا أفهم

الطيب : الواقع فى أرض النهر يقول ...

بلسان الحال يقول :

« لا تبق بأرض لا تتسعُ لصدِّيقينْ

أرضٍ لا تتسعُ لغير اثنين : الظالم والمظلوم .

... أرضٍ تُصْلَبُ فيها الكلمةَ

الضابط : الكلمة تُصْلبْ ؟!!

الطيب : فى أرض النهر المسكينةْ

تُشنق كلمات الحق وتُسْحل

وكلاب الأرضِ تجرِّرُ أحشاها

وتمصّ دِماها

وأخيرا

يحملها العسكرْ كى تُصلب

ميتةً تصلب

كى تأكلَ منها الحشراتُ

وسباعَ الطير .

الضابط : لم أفهم . . .

الطيب : ياللعار . . .

أضحى حقُّ التعبير هنا ببطاقة تموين
لا كلمة إلا ما يُرضي « الجنرال الأكبر »
فإذا ما أغفلْتَ رضاه بكلمةْ
حتى لو كانت عينَ الباطل
أصبحتَ عديمَ الوطنية
ووضعتَ بقائمة الخونة أعداء الشعب

الضابط : ماذا فى ذلك يا طيب ؟
قانونٌ وضع لنفع الشعب . .
هذا ما قال « الجنرال الملهم » . . .
وهدوءُ الأحوال بأرض النهر
تؤيد ما فيه من الحكمة والفطنةْ

الطيب : ههْ . .
نفعُ الشعب ؟!
ما نفعُ الشعب بأن تُخْرسَ ألسنتُهْ ؟!
إن الأفواه إذا كُتمتْ
تتولى الأيدي سلطانَ الكلمةْ

الضابط : أيد تتكلم ؟!

الطيب : بإشاراتٍ تتكلمُ أياماً أو أشهر .

[وبصوت مرتفع ، ولهجة أشد] :

فإذا بلغ السيلُ زباهْ
واشتدَّ الكربُ وفاضَ لظاهْ
تصبح أيدي الناس بديلا للأفواهْ

الضابط (بابتسامة ساخرة) .
شيءٌ عجبٌ !!
ماذ تفعل هذي الأيدي ؟؟

الطيب : ساعتها . . .
سيكونُ هنالك بركانٌ
يتضرمُ فى أعماق الناس
والأيدي ستكونُ المنفذَ تتولى عنه التعبير

الضابط : فبأيِّ لغات العالم
تتكلمُ تلكَ الأيدَي يا طيب .

الطيب : تتكلمُ نقَمًا
وترش الأَرضَ حميما ودَمَا
لا صوتَ هنالكَ إلا للغليانْ
لا موضع فيها إلا للنيرانْ
آه . . . ربّاه
هذا ما أخشاه على وطني أرضِ النهر

الضابط : لم أفهمْ . . .

الطيب : لن تفهم أبداً . . .
ما دمت بهذا الزيِّ الأصفرْ
وعلى كتفيك نجومٌ وأهلَّهْ

الضابط : حتى هذي لم أفهمْها
الطيب : لا تهدر وقتك ... لن تفهم
الضابط : ومتى أفهم ؟
الطيب : لو أسقطتَ الزيَّ الأصفرَ والأنجُمَ ..
الضابط : عن جسمي ؟
الطيب : عن قابلكْ .
الضابط : هل للقلب لباسٌ حتى يَسقط ؟
الطيب : أقنعةٌ وملابسُ لا تُحصى
الضابط : والزيُّ الأمثلْ ؟؟
الطيب : « ولباسُ التقوي ذلك خير »
الضابط : ياه !! يا ليتك تُفْهِمني
فكلامُك ساحرْ
الطيب : آه !! يا ليتك تَفْهمُني
حتى لا تغدُو مخدورا غافل
الضابط : قد طال بنا حبلُ الجدل
والصفُّ وراءك جدُّ طويلْ
لنعُدْ للموضوع الأصلي
فلتكملْ كلَّ بياناتك ...
الاسم : الطيبُ غالب
لقبُ الشهرة : محبوب الناس
والعمل ؟
الطيب : أستاذٌ فى « جامعة الحق »

الضابط : والمادة ؟

الطيب : فن الإلقاءِ ، وإبداع النص .

الضابط : [يرفع وجهه بعد كتابة البيانات السابقة]

المركزُ ممتازٌ عالٍ

والناسُ يحبونكَ حباً ما منحوه لأحدٍ قبلَكْ

فلتبق لمنصبكَ العالي

الطيب : لن أبقى في أرضٍ

فيها يُحتقر الرأيُ

ويذوي الوعي

والعسكر والمنسرُ فيها

يجمعهم قاموسٌ واحدْ .

الضابط : لكن المصلحة العليا

تتطلب أن تبقى في موقعك « بجامعة الحقْ »

لتُعلّمَ طلاَبك « فنَّ الإلقاء وإبداع النص »

الطيب : هذا لا مريةَ فيه

لو تركوا لي حرية أن أتنفسَ

أن أمنح طلابي خيرَ عطائي

حتى تثمر أرضِ العلم نقاء ثَرًّا وصفاءً

إبداعا حقا ونماءً . .

لكنْ – واأسفاه –

انتهكوا حرمة جامعتي . . جامعة الحق . . .

الضابط : لا . . لا . . يا طيب . .

الجنرالُ الأعظم ينهضُ بالتعليم العالي ...
رصدَ الحظ الأوفى من أموالِ الدولة للتعليم العالى

الطيب : (غير ملتفت إلى ما يقول الضابط .. مستمرا فى حديثه)
واأسفاهُ ...
انتهكوا حرمةَ جامعتي .. جامعة الحق ..
فرضوا فى « منهج » هذا العام
ألا يَدْرس طلابي -
إلا عَفَنًا يُدعى « الفكر الغالي »
قالوا من تأليف « الجنرال الأعظم » .

الضابط : لا يا طيب ..
إن « الفكر الغالي » خيرُ مؤلَّف
والجنرال الأعظم أفرغ فيه تجاربَهُ
... خبْرات جهادهْ .. فلسفة حياته
رؤيته للمستقبل فى أرض النهرِ
كتابٌ رائعُ .. رائعْ
بدليل التوزيع المدهش
في أرض النهرِ وأرجاء العالَمْ

الطيب : [وعلى وجهه ابتسامة عريضة]
دعْك من التوزيع الآن
نحنُ جميعا نعرف كيف يوزَّع
والفكر كما تعلم أولا تعلمُ -
لا يحكم قيمتَه مقدارُ التوزيع .

الضابط : يا طيبُ . . أتهين « الجنرال الأعظم »
وهو اليقظُ الساهرُ من أجلِ الشعب ؟
[يفتح صحيفة على يمينه]
اقرأ هذا التحقيق الصحفي مع الجنرال الأعظم
سجله « قلَمونُ الهايص »
أشهرُ صحفيي الشرق الأوسط
اسمع « الجنرال الأعظم لا يأوي لفراشٍ
إلا بعد الفجر . . .
كي يستيقظَ عندَ شروق الشمس .
أي لا يعرفُ طعمَ النومِ سوى ساعة »
الطيب : [وعلى وجهه ابتسامة . .]
يا ليت لجنرالَ الأعظم يستغرقُ فى النومِ طويلا . .
الضابط : [وعلى وجهه أمارات الاستغراب]
ماذا تعني ؟ . . لم أفهمْ . .
الطيب : أحيانا يغدو النومُ عباده
الضابط : واليقظةْ ؟؟
الطيب : أحيانًا تصبحُ إفساداً فى الأرض .
الضابط : هل هذا صح ؟
ذلك عكسُ المألوفِ – كما نعرف .
الطيب : لا تنس . . .
قدّمتُ وقلتُ « أحيانًا »
الضابط : لم أفهم . . .

الطيب : لن تفهم ... نبهتك .. نبهتك
ما دمت أسيراً في هذا الزيِّ « الصفراوي » .

الضابط : ياه !! عُدْنا مِنْ حيث بدأنْا

الطيب : أنتَ العائد

الضابط : ماذا ؟

الطيب : وأنا الثابتُ في خطٍّ لا يتعرج

الضابط : من فضلكَ .. يكْفيي هذا
فلتستكملْ كلَّ بياناتكْ ...
(يصمت لحظات وهو ينظر في أوراق أمامه)
هيه ... وإلى أي مكان تهجر ؟
تلك قوائمُ كلِّ بلاد المعمورة
مغلقة الأبواب .. استكْفَتْ ..
ريكا العظمى .. ريكا الوسطى
شافا العليا .. شافا الصغرى
دولةُ نيرا ...
كلُّ بلاد المعمورة مغلقةُ الأبوابِ .. استكْفَتْ
هيهْ ...
أو مازلتَ مصراً أن تُمنح تأشيرة هجرة ؟

الطيب : لن أتراجع ..

الضابط : فإلى أي مكان تبغي الهجرة ؟

الطيب : للجُبِّ ...
منطقةِ الجبِّ هنالك في الصحراءِ الكبرى .

الضابط : منطقةٌ تابعة للوطنِ فلا تحتاج لتأشيرة

الطيب : قالوا لي :

هجرةُ أمثالي من أصحاب الحيثية

حتى لو كانت للداخل تحتاج لتصريح خاص . . .

الضابط : [بعد تقليبه فى أوراق أمامه . .]

هذا صح . . .

منشورٌ لم يصل المكتبَ إلا أمس

[يكتب فى الدفتر الكبير وهو يُسمع الطيب الكلمات التى يكتبها . .]

ومكانُ الهجرة منطقة الجبِّ المهجورْ

فى الصحراء الكبرى .

(رافعا رأسه وعلى فمه ابتسامة ساخرة) :

قد لا يلتقطُكَ سيارة

لو جاءوا يسْتسقُون البئر .

الطيب : غيرُ مُهم . .

بل لو جاء السيارة كي يلتقطوني لأبيْت . .

الضابط : وطعامُك . . قلْ لي : وشرابُكَ . . .

فى أرض ليس بها عمران ؟

الطيب : أشربُ من ماء الجبِّ

وأطعمُ من فطرٍ قد ينبتُ عندَ الجدرانِ

هذا فى الأيام الأولى

الضابط : ومشاعرك الإنسانية ؟!

قد تفقدُها حين تعيشُ بعيدا عن كل الناس

الطيب : بل ستكونُ أنيسي وعزائي
حيث أعيشُ ... قلوبَ الناس ..
كلِّ الناس ...

الضابط : كيفَ وأنت بعيدٌ عنهم ؟

الطيب : قد يغدُو أقربُ خلق الله إليك بعيدا عنك
وهو أمامَك ... بين يديك
ويكونُ الأبعدُ عنك لياليَ وشهورا وسنينا
أقربَ خلق الله إليك ...
والسببُ الواضح أنك تحياهُ ... يحياكَ ...
يعيشكُ فى نبْضِه

الضابط : (وعلى وجهه ابتسامة سخرية) :
ما شاء الله !!
أتكون كذلك فى منطقة قاحلةٍ
لا يوجد فيها غير الجبِّ المهجورِ ؟؟!!

الطيب .. الجبّ ؟! الجب أصيلٌ وعريقُ ...
ومن الجب يكون شروقُ
الجبّ كيانٌ .. لم يستعبدُه هوانْ

الضابط : (فى سخرية) : ولماذا .. يا طيب غالب ؟!!

الطيب : لم يشهدْ من قبل عساكرْ

الضابط : آملُ أن تدرك هذي المرةَ
أنك لن تلقى من تبْيضّ لأجلك عيناه من الحزْنِ

الطبيب : أنا لستُ حريصا أن يحزنَ من أجلي الناس .

الضابط : لكنك تحزن .. بل تبكي

حين تصيبُ الناسَ مصيبةْ

الطبيب : أنْ أحزَنَ للثكلى والبؤساءْ

ولجوع الجوعَى والفقراءْ

ولأرض النهر العطشى للأنداءْ ..

أن أمسح دمعَ المفجوعينْ

أن أرفع إصْر الظلْم عن المقهورين

أن أطلق ألسنة المخروسينْ

أن أهتف « قولوا ... قولوا

فالكلمة حق مشروعُ

والكلمة ليست منحة حاكمْ

بل هي أعظم نعَم الخالقْ .

والحر يُشرَّدُ ويَجوعُ

لكنْ يتكلمْ

يتألمُ ...

لكنْ يتكلمْ

يُحتضَر وتذوي أنفاسهْ

لكن يتكلم .. »

هذا جوهر دعوتيَ العظمى

وعليها أحيا

وعليها ألقى ربي بعد الموت

الضابط : يا طيب .. هذا شعر رائعْ
هذا محْض خيالٍ بارعْ

الطيب : بل إحساس ينبض بالحق
وشعورٌ لا يكذبُ أبدا
إن غشَّاهُ الألمُ العاتي
لم ييأسْ منْ نصرٍ آتِ

الضابط : يا عجبا ...
أن تتركَ أرضا عامرةً خضراءْ
وتهاجرَ للصحراءِ القاحلة الجرداءْ !!
والبئر هنالك صامتةٌ مهجورةْ

الطيب : أنا أعلم أن البئر هنالك
راقدةٌ فى صحراء جرداءْ
صفراءَ ولكنْ عادلة لا تظلمْ
فنجوم الصحراءِ نجومٌ غيرُ نحاسيَّهْ
بل بيضاء البسمةِ في ليل الكون .
ونجومُ الصحراء عيونٌ ساهرةٌ
كضمائر أهلِ العدل من الحكامْ

الضابط : يا طيبَ دعْ عنك خيالَ الشعرْ
وتعاملْ يا طيب من منطلق الواقع
ولذلك أسأل فى إلحاح :
كيفَ تعيش هنالك .. فى منطقة الجب ؟؟

الطيب : سأعيش على فِطْرٍ ينبتُ فى جدران البئر

والماءُ بحمد الله وفيرٌ فى البئر وباهرْ
والبئرُ بحمد الله - كما الحب - عميقةْ
الحبِّ الطاهر فى قلب موصول بالله

الضابط : يا طيبُ . . .
هل ستظلُّ تعيشُ على ماء ، وطعامُكَ فِطْرٌ
يخرجُ منْ أعلى جدران البئر ؟
هذا لا يضمن أن تبقى حيا إلا أياما

الطيب : قدمتُ - بقولى -
إني لا أحتاج لذلك إلا أياما

الضابط (فى لهجة ساخرة)
ومخططكَ التالى يا . . . طيب !!

الطيب : سأكون أمينا وحفيظا
لرعاية ماء البئر المهجورةْ
أستخرجهُ . . .
أستحلبهُ
وأُروي من أثداء البئر
الأرضَ العطشىَ المحترِقَهْ
سأشقُّ بها قنواتِ النعمةِ والأملِ
أيامٌ تمضي . . .
وبُعْيد الأيامِ المعدودةِ
تخضرُّ الأرضُ
وتهتزُّ وتربُو

فإذا ما اصفرّ الزرعُ المائسُ فيها
فَلنضج يتلوهُ حصادُ
لاَ صفرةِ عطشٍ ومواتْ .
والطير الجائع والعطشانْ
الباحث عن ظل وأمانْ
سيحطُّ ليشربَ ، أو يلتقط الحَبّ
ويُرقِّصَ روضَتَنا النشوى
بنشيد العمل
نشيد الأملِ
نشيد الحُب
وستهوي أفئدةٌ كانت جدباءَ إلينا
وتمدّ يديها ليديْنا
ليقولَ الكلُّ بحريةْ
ويكونَ عمارٌ بعدَ يبابْ
ويكونَ طعامٌ وشرابْ
من بعد جفافٍ وخرابْ
ويكونَ العدلُ شريعةَ أرضٍ
عانقها اللونُ الأخضرْ
أرضٍ صاحبُها لم يتزيَّ بزيٍّ أصفرْ

الضابط : آه .. هذي المرة ... صدّقني ...
أدْركني الفهم
أوْ – إن شئتَ – فبعض الفهم

الطيب : شيءٌ عَجَبُ . . . !!
إن صحَّ فإني جدُّ سعيدْ
الضابط : مضمون كلامك فى إيجاز
« صحراءٌ جرداءٌ صفراء
ترويها من ماء الجبّ التاريخي المهمَلْ
تتحولُ بالعملَ الدائب والسهرِ الدائم
لحدائقَ غلْبٍ غنّاء
تُنبتُ تينا . . . عنبا . . زيتونا . . قثّاءْ
أرضٍ بالمجهودِ الذاتي المُضْني
تتحولُ من صفراءَ إلى خضراءْ
والكلُّ يقول بحريةْ
لا قيدَ على فكرٍ أو كلمهْ
مادامَ الحق هو الغاية . .
هيهْ . . فهمي صحْ ؟؟!!
الطيب : هذا حق . .
قانونٌ أزلي لا يتخلفُ أو يختلُّ
لا يتخلفُ أو يختل
لا يتخلف أو يختل
الضابط : لا . . . بل قد يتخلف أو يختل
فكثيرا ما تطغى الصحراءُ على أرضٍ زُرعتْ فتبورُ
وتئول إلى قفر متيبِّسْ
أرضٍ ميتةٍ لا تتنفسْ

أرضٍ قاحلة لا تُزْرع ..

الطيب : (وهو يرفع نظره إلى أعلى شاخص العينين كأنهما مشدودتان إلى شيء مجهول ، وكأنه يقرأ من كتاب غير مرئي مفتوح أمامه بصوت عميق ممتد)

حين يهونُ الحيُّ الأخضرُ فى نفسهِ
حين تميعُ إرادته بإرادته ..
ويُسلِّمُ لفحيح الأفعى فى وهَنٍ
ويجافي فى بَله أصلَ جُذورٍ
ضربتْ فى أعماق الأرضِ سنينا وسنينا
ويريقُ بقيةَ عزّ رفعتْ أغصانَهْ
تنقضّ عليه الديدان لتمتص نخاعَهْ
والنملُ الأبيض والأسوَدُ ينخر سيقانَهْ
يأكل عيدانه ..
يوقفُ خفقانَهْ .
في هذي الحالِ المنكودةْ
الأصفرُ يزحفَ ويُهيمنْ
الأصفر يزحفُ ويهيمن
ويصيرُ الدرسُ الباقي للأجيال
من قصة زحف الأصفر فوق الأخضر
« إنْ ظهرَ فسادٌ فى برٍّ أو فى بحرٍ
فبما كسبت أيدى الناسْ
والناسُ إذا ما شاءُوا تغييرا

فبأيديهمْ يأتي التغييرْ
فبأيديهم أن ينتصروا
وبأيديهم أن ينكسروا »

الضابط : (وقد بدا على وجهه شعور هو مزيج من الأسى والغضب وهو يضرب بيده ما أمامه من أوراق) :

وأأسفاه . . وأأسفاه
عدتُ لحالتيَ الأولى
لا أفهمُ . . . لا أفهمُ شيئًا مما قلت .

الطيب : لن تفهم إلا . . .

لضابط : أعرف . . .

أخلعُ هذا الزيَّ الأصفر
سأقوم وأخلعُهُ
فالفهمُ ولا زيٌّ أصفر

[ينهض ضابط الهجرة،ويخلع الجاكت الرسمي الأصفر ذا النجوم على كتفيه،ويعلقه على مشجب بجواره ، ويظهر بقميصه الأزرق الذى كان يرتديه تحت الجاكت]

الطيب : [وهو يضحك بصوت مسموع :]

اخلعْ ما شئتَ فلن تفهم .

الضابط : من أجل الفهم أخذت بأمرك

فلماذا سأظلّ جهولا ؟

الطيب : يا سيد . . .

الثعبانُ إذا ما غيرَ جلدَهْ

هل يصبحُ كالبلبل خَلْقا وطباعا ؟
هل تسمعُ منه فحيحا أم تغريدا ؟

الضابط : لم أفهم ..

الطيب : لن تفهم إلا حين تحوِّلُ ثعبانا
يرقد فى أعماقكَ ... طيرا غرِّيدا
يكسو آفاق الكَون ربيعًا
وورودا
ونشيدا .

الضابط : بلبلْ
وربيعٌ
وورودٌ .. ونشيدْ !!
ما هذا ؟ .. لم أفهم ..
فلتكملْ كلَّ بياناتك ...

[يبدي الضابط تأففه الشديد ، ويلقي نظرة على « الجرنال » الذى وضعه على يسار المكتب ، فيمسك بالصحيفة وقد تهلل وجهه ... ويقول بنبرةٍ عالية متدافعة الكلمات .. :]

يا طيب ...
يا ... أطيب .. من وقعت عيناي عليه
أقرأتَ جرائد هذا اليوم .. ؟!!

[لا ينتظر حتى يستمع إجابة الطيب .. بل يواصل حديثه المتلاحق ..]

اسمعْ يا طيبُ هذا الخبرَ

[يقرأ فى الصحيفة بصوت عال ..]

« الدولةُ تبدأ مشروعًا ضخما للتعميرْ
الدولة تردمُ جبَّ الصحراء الكبرى
وتقيمُ هنالك ..
ألفَ بناء للإسكان الفاخرْ
الجنرالُ الأعظمُ يفتَتحُ المشروعَ
بقصٍّ شريطٍ فى الثامنة
صباحَ اليوم ...
الجنرال الأعظم يأمرُ .. »

الطيب : (مقاطعا فى لهجة يختلط فيها الحزن بالغضب)
ردموا البئر .. !!؟
رباه ...
خنقوا بالإسكان الفاخرِ كنزَ الماءْ
كتموا أنفاسَ البئر ودفنوها
وأنا أسمعُ فيها نبضاتِ القلبِ الزاكي المعطاءْ
رباه !!
وأدُوا الماءْ .
وأنا أسمع همس الصحراء الجرداء
كنشيج يبكي .. يستجدي ..
« يا أهل الله .. لله
أعطوني جرعَة ماءَ
كى أمنحكم زرعاً ناضرْ
فالزرعُ الناضر يمنحكم فى المستقبل

إسكانا فاخرْ . .
والإسكان الفاخرُ
يعجز عن أن يُخرج فى الأرض
نباتا ناضرْ »

الضابط : لكنّ الإسكانَ الفاخرَ أجمل
أسرعْ يا طيبُ . . وتملّكْ
إحدى وَحدات الإسكانِ الفاخرْ
الخبرُ يقول :
تدفعُ ربعَ القيمة بالعمْلاتِ الصعبة
والباقي تقسيطٌ
يُدفع فى عشرين من السنواتْ
اسرع واحجز قبل فوات الفرصة .
حقا فُرصةْ . .
بدلا من أن تقضي أيامك فى صحراء قاحلة
يلسعك البرد المجنون . .
والقيظُ العاتي الملعونُ
وتلوِّحُ وجهَكَ شمسُ الظهر القهَّارة
أنصحك - بشرفي - فلْتحجزْ . .

الطيب : (بصوت خفيض وقد ظهر على وجهه علامات حزن شديد)
إنْ أفعل فسأخسر ذاتي
وأكونُ . .

[يدق جرس الهاتف ، فيرفع الضابط السماعة وينهض واقفا ، وقد بدا

على وجهه علامات الاهتمام ..]

الضابط : سعدتْ أيامُكَ يا فَنْدم (بعد ثوان من الصمت)

نحنُ جنودُك يا جنرال (بعد ثوان من الصمت)

نحنُ عبيدُ الإحساناتِ الجنرالية (بعد ثوان من الصمت)

نصدعُ بالأمرِ

وأمرُ سيادتكَم لا يُنْقض .. (لحظة صمت) .

لا يا فندم ... لن يهرب

أبدا لن يهرب يا جنرال .

طاب مساؤك يا جنرال .

[يضع السماعة ويوجه كلامه للطبيب] :

الطيب غالب

المشهور بمحبوب الناس :

لا هجرة ..

الطيب : أنا أعرف هذا

بعد قراءتك الخبرَ المشئوم ..

أنصرفُ ؟

من حقي طبعا أن أنصرفَ

الضابط : لا .. لن تقدرْ

مقبوضٌ أنت عليك الآنَ

بأمرِ لجنرال الأعظمْ

الطيب : من غير محاكمة ؟ .. يا عجبا !!

الضابط : بل بعد محاكمة .. فى محكمة

سمعت ورأتْ

كلُّ الحركات ..
والسكنات
والكلمات
مما قيل ودارَ هنا .

الطيب : لم أفهم

الضابط : هاهاها .. انقلب الحال
أنت الآن – بحقٍّ – فى موقعِ من لا يفهمُ
لكنْ ..
من حقِّك يا طيبُ أن تفهم
(وفى لهجة متهكمة بطيئة)
لن تخلع زيّا وستفهم
اسمع يا طيب :
عُقدت محكمة الشعب الكبرى لمحاكمتك

الطيب : من غير سؤالٍ أو تحقيق ؟
من غير محقق ؟

الضابط : بل بعد استجواباتٍ وإجاباتٍ ومحقق ..

الطيب : أين التحقيق إذن ؟

الضابط : يتمثل فيما قيل اليومَ
ودار هنا ..
كنتَ المسئول المسْتجوَب
وأنا سائلك المستجوب
والمحكمة العليا يرأسُها الجنرال الأعظم

تستمع وتشهدُ
فالجلسة قد نُقلت
ومباشرةً . . .
بالصوت وبالصورة نُقلَتْ
الطيب : لكن لم تُشعرني أن هنالك
من يشهد أو يستمعُ
الضابط : ذلك أقرب من مفهوم العدل
ولُبّ الإنسانية
الطيب : لم أفهم
الضابط : (مقهقها . .)
ها . . ها . . ها
لم تفهم !!
أشرح لك . .
مجهوليتُك الرقباءَ
أي أن تجهلَ أنّ هنالك
من يسمعُ أو يشهد . .
تدفعُ عنك الخوفَ
وتمنع عنك الرهبةْ
فتكون طبيعيا بجنانٍ ثابت
الطيب : هل صدر الحكم ؟
الضابط : طبعًا . .
قد صدرَ وصُدِّقَ واعتُمدَ

حكمٌ عادلُ من محكمةٍ يرأسها الجنرال الأعظم

الطيب : محكمة لم أمْثُلْ بين يديها

الضابط : ولماذا تمْثُلُ بين يديها ؟

الطيب : حتى تسمع منى ·· وتراني

وأراها ···

حتى أبدي أقوالي بين يديها

وأدافعَ عن نفسى ··

هذا حقي ··

الضابط : ذلك يا طيب ما قدّتَمّ

تركتْكَ المحكمة تقولُ

وأنا كنتُ المستجوب

طبْقا لقرار الجنرال الأعظم

المَرقوم بعشرٍ بعد الألف ·

أقوالك سمعتُ

ودفاعَك أبديت بحريةْ

دون مقاطعةٍ من أحد

وعلى ذلك صَدر الحكم ·

الطيب : الحكمُ ؟

ما الحكم ؟

الضابط : السجن إلى أن تلقى الموت ·

الطيب : والتهمةُ ؟

الضابط : تعني التهمَ ؟؟

اسمع تُهمَكَ يا طيب :
« الأولى : سبٌّ الجنرال الأعظم
باعث نهضة هذا الشعب
ومَنْ غرس العزة فى وُجدانه
والثانية : التدبير المتقن
من أجل الإستيلاء على جُبِّ الدولة
والثالثة : الإجرامُ الفاحشُ فى حقِّ العلمْ
برفضك تدريس كتاب « الفكر الغالِي » للطلاب
وهو خلاصة فكر الجنرال الأعظم .
(لحظة صمت)
لكنَّ هنالكَ تذييلا
بعد الحكم وبعد التهم ونصه :
« تسقط هذي التهمُ وذاك الحكمُ
إذا ما الطيبُ عادَ
لتدريس كتاب الجنرال الأعظم للطلاب »
هيه يا طيبُ ما رأيُك ؟

الطيب : رأيى :
السجن إلي أحبُّ وأحلَى
ليظلَّ الحقُّ هو الأعلى
لا يفنى أبدا أو يبْلَى

[يخرج الثلاثة الذين وراءه مباشرة فى الصف ، والذين كانوا يتظاهرون بأنهم من المواطنين الذين جاءوا لتقديم طلبات للهجرة

والحقيقة أنهم أفراد من البوليس السري ٠ ويخرج أحدهم مسدسه ٠٠

صارخا في الطيب :]

سلِّم نفسَك لا تتحركْ ٠٠

نحنُ رجالُ الجنرال الأعظم

(يقتادون الطيب ٠٠ وهو يكرر ٠٠٠

السجنُ إلى أحبُّ وأحلَى

السجن إليّ أحب وأحلى

(ويُرخى الستار بالتدريج مع ابتعاد الطيب ورجال الشرطة فى الشارع المتجه إلى داخل المسرح) ٠

* * *

الشاعر فى سطور

● من مواليد مدينة « المنزلة » بشمال دلتا النيل بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٣٤ .

● **حاصل على المؤهلات الآتية :**

– ليسانس دار العلوم التربوي من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة .

– ليسانس الحقوق – من كلية الحقوق بجامعة القاهرة .

– دبلوم عال فى الشريعة الإسلامية – من كلية الحقوق جامعة لقاهرة .

– ماجستير فى الأدب العربي الحديث من جامعة الكويت .

– دكتوراه فى الأدب العربي الحديث – من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة .

● **عمل بالتدريس فى الكليات والجامعات الآتية**

– كلية الألسن – جامعة عين شمس

– جامعة « يل » Yale ، بولاية (كنكتكت) بالولايات المتحدة .

– الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان)

– (حاليا) جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (قسم الدراسات الإسلامية والعربية) – الظهران المملكة العربية السعودية .

● **حضر كثيرا من المؤتمرات العالمية منها :**

- مؤتمر الشباب المسلم العربي بمدينة (سبرنغ فيلد Spring Field) بالولايات المتحدة ،
- مؤتمر شباب الجامعات الإسلامية ، باسلام آباد ،
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامى العالمية - باسطنبول - تركيا ،
- مؤتمر « ظاهرة ضعف اللغة العربية فى التعليم الجامعي » جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض

● **عضو فى :**

- اتحاد الكتاب المصريين ،
- رابطة الأدب الإسلامى العالمية
- النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية بالدمام ،

● **الكتب المطبوعة :**

١ - منهج العقاد فى التراجم الأدبية
٢ - أدب الخلفاء الراشدين ،
٣ - أدب الرسائل فى صدر الإسلام ،
٤ - التقليدية والدرامية فى مقامات الحريري ،
٥ - صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم ،
٦ - الشاعر الفلسطينى الشهيد عبد الرحيم محمود ،
أو : ملحمة الكلمة والدم ،
٧ - التراث الإنسانى في شعر أمل دنقل ،
٨ - في صحبة المصطفى ،
٩ - المدخل إلى القيم الإسلامية ،

١٠ – المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق .
١١ – الأدب الحديث بين عدالة الموضوعيةوجناية التطرف .
١٢ – آثار التبشير والاستشراق فى الشباب المسلم .
١٣ – الزحف المدنس (ديوان شعر)
١٤ – لجهاد الأفغان أغني (ديوان شعر)
١٥ – حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري (ديوان شعر)

● **البحوث المنشورة فى مجلات :**

عشرات من البحوث والمقالات نشرت فى المجلات الآتية :
١ – مجلة الدارة (سعودية فصلية محكمة)
٢ – مجلة الدراسات العربية (مصرية فصلية محكمة)
٣ – مجلة الدراسات الإسلامية (فصلية باكستانية محكمة) .
٤ – مجلة الشعر (مصرية شهرية) .
٥ – مجلة الفيصل (سعودية شهرية) .
٦ – مجلة الحرس الوطني (سعودية شهرية) .
٧ – المجلة العربية (سعودية شهرية) .
٨ – مجلة المنهل (سعودية شهرية)
٩ – مجلة الوعي الإسلامي (كويتية شهرية) .
١٠ – مجلة المجتمع (كويتية أسبوعية) .
١١ – مجلة المنتدى (تصدر فى دبي – شهرية) .
١٢ – المسلمون (سعودية أسبوعية)

والحمد لله رب العالمين ،

الفهرس